بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

باسمك اللهم نقدِّم كتاب «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، ونسألك تبارك اسمُك أن تفتح القلوب للانتفاع به.

وهذه فصولٌ قصارٌ بين يدي الكتاب تمهِّد لقارئه الطريق إليه، وتلقي بمفاتحه بين يديه، وهذا برنامجها:

- توثيق نسبة الكتاب
- تحرير عنوان الكتاب
- تاريخ تأليف الكتاب
- موضوع الكتاب وتقسيمه
- موارد الكتاب
- الثناء علىٰ الكتاب
- وصف الأصول الخطية
- طبعات الكتاب ومختصراته
- منهج التحقيق
- نماذج من صور الأصول الخطية المعتمدة

توثيق نسبة الكتاب

هذا هو كتاب «مفتاح دار السعادة» للإمام ابن القيم، نسبةٌ لا يخامرها ريب، ولا يزحزحها توهُّم، بل تتناصر حججُها وتتداعىٰ شواهدُها، وهي بمجموعها قاطعةُ الدلالة، شافيةٌ كافيةٌ لذي نُهْية، وهاهي تجتاز بين يديك:

فأولها: ثبوت اسم الكتاب ونسبته إلىٰ الإمام ابن القيم علىٰ صفحات عناوين النسخ الأصلية العِتاق المدونة في عصر المصنف، وبعضها مقابلٌ علىٰ نسخته التي بخطه، وأجلُّها بخط أحد الأئمة الحفاظ المتحرِّين، وهو إسماعيل بن محمد بن بَرْدِس المتوفىٰ سنة ٧٨٤، وستأتيك صورها.

وثانيها: إحالة المصنف في تواليفه الكبار المشهورة علىٰ كتابنا هذا، وذِكره إياه باسمه، وما أحال إليه من المسائل موجودٌ فيه.

- قال في «الصواعق المرسلة» (١٤٥٠): «وعلىٰ هذا الأصل تنشأ مسألة التحسين والتقبيح، وقد ذكرناها مستوفاةً في **كتاب المفتاح**، وذكرنا علىٰ صحتها فوق الخمسين دليلًا». وقد استوفىٰ بحث هذه المسألة في كتابنا وحرَّرها تحريرًا بالغًا بما لا يوجد في سائر كتبه.

- وذكر مسألة التحسين والتقبيح في «مدارج السالكين» (١/ ٩١)، ثم قال: «ولهذا الأصل لوازم وفروعٌ كثيرةٌ فاسدة، وقد ذكرناها في **كتابنا الكبير المسمىٰ مفتاح دار السعادة ومطلب أهل العلم والإرادة**، وبينا فساد هذا الأصل من نحو ستين وجهًا، وهو كتابٌ بديعٌ في معناه».

- وذكرها مرةً أخرىٰ في المدارج (٣/ ٤٩٠)، وقال: «وقد ذكرنا هذه المسألة مستوفاةً في **كتاب مفتاح دار السعادة**، وذكرنا هناك نحوًا من ستين

وجهًا تبطل قول من نفىٰ القبح العقلي...».

- وذكرها في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٣٥)، وقال: «ومن قال: إن ذلك لا يعلم بالعقل ولا بالفطرة وإنما عرف بمجرد السمع فقوله باطلٌ قد بينا بطلانه في كتاب **المفتاح** من ستين وجهًا، وبينا هناك دلالة القرآن والسنة والعقول والفطر علىٰ فساد هذا القول».

- وذكر في «شفاء العليل» (٣٨٢) قول الأشاعرة بنفي التحسين والتقبيح العقليين، ثم قال: «ولعمر الله إنه لمن أبطل الأقوال وأشدها منافاة للعقل والشرع ولفطرة الله التي فطر عليها خلقه، وقد بينا بطلانه من أكثر من خمسين وجهًا في **كتاب المفتاح**». وردُّه عليهم ومناقشته لأدلتهم مبسوطٌ في الكتاب.

- وبحث في «زاد المعاد» (٤/ ١٥٤) الأحاديث الواردة في العدوىٰ، ثم قال: «وقد أشبعنا الكلام فىٰ هذه المسألة فىٰ **كتاب المفتاح** بأطولَ من هذا». والكلام في العدوىٰ مشبعٌ في آخر الكتاب.

- وقال في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٢٥): «وأما المكذبون للرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم، وقد أشبعنا الردَّ علىٰ هؤلاء في **كتابنا الكبير المسمىٰ بالمفتاح**». وهو كما قال، وردُّه علىٰ المنجمين مشبعٌ مستفيض في الكتاب.

وثالثها: إحالة ابن القيم فيه علىٰ بعض مصنفاته الأخرىٰ.

- فمن ذلك قوله (ص: ١١٠٢) في مسألة استيفاء القصاص: «وقد ذكرنا أدلة المسألة من الطرفين، وترجيح القول الراجح بالنص والأثر والمعقول في **كتاب تهذيب السنن**». والمسألة هناك كما قال.

- وقوله في سبب الإذكار والإيناث (ص: ١٢٥٩): «وقد أشبعنا الكلام فيها في **كتاب الروح والنفس وأحوالها وشقاوتها وسعادتها ومقرها بعد الموت**». وهو كتابه الكبير في الروح، غير كتاب «الروح» المطبوع، وانظر تعليقي علىٰ هذا في موضعه.

- وقوله في مبحث مشاهد العبد في المعصية (ص: ٨٠٨): «وقد ذكرنا في **الفتوحات القدسية** مشاهد الخلق في مواقعة الذنب». وهو من أوائل كتبه، ويحيل عليه في مصنفاته، ويقع في وهمي أنه مجموعٌ كبير ضمَّنه أبحاثًا متفرقة كتبها أيام مقامه بمكة ثم عاد فنثرها في كتبه.

- وقوله عن صنعة الكيمياء (ص: ٦٣٣): «وقد ذكرنا بطلانها وبينا فسادها من أربعين وجهًا في **رسالة مفردة**»، وذكرها له تلميذه ابن رجب في ترجمته من «ذيل طبقات الحنابلة» (٥/ ١٧٦).

- وقوله (ص: ١٥٥) عند ذكر الحكمين الداوودي والسليماني: «وقد ذكرت الحكمين الداوودي والسليماني ووجههما، ومن صار من الأئمة إلىٰ هذا ومن صار إلىٰ هذا، وترجيح الحكم السليماني من عدة وجوه وموافقته للقياس وقواعد الشرع في **كتاب الاجتهاد والتقليد**». وأشار إليه كذلك في «تهذيب السنن» (٦/ ٣٤١)، فهو علىٰ هذا من أوائل مؤلفاته.

- ومن ذلك وعده بتصنيف كتابٍ كبيرٍ في المحبة (ص: ١٢٧) بقوله: «ثم نتبعه إن شاء الله بعد الفراغ منه كتابًا في الكلام علىٰ المحبة وأقسامها وأحكامها وفوائدها وثمراتها وأسبابها وموانعها وما يقويها وما يضعفها، والاستدلال بسائر طرق الأدلة من النقل والعقل والفطرة والقياس والاعتبار والذوق والوجد علىٰ تعلقها بالإله الحق...». وانظر تعليقي علىٰ هذا

الموضع هناك.

- ومن هذا تمنيه (ص: ١٠٦٨) إفراد محاسن الشريعة بكتاب، وكذلك تمنىٰ في «بدائع الفوائد» (٦٧٠).

ورابعها: ذكره لبعض أحواله التي ذكرها في كتبه الأخرىٰ.

- فمن ذلك: حديثُه عن مجاورته بمكة، وذكر أن هذا الكتاب مما فُتِح به عليه هناك، قال (ص: ١٢٦): «إذ كان هذا من بعض النُّزُل والتحف التي فتح الله بها عليَّ حين انقطاعي إليه عند بيته».

وقصَّ (ص: ١٥٢٢) حادثة ضياع ابنه منه يوم التروية، ثم وجدانه. وحكىٰ (ص: ٦٥٧) خبر مجلسٍ حضره بمكة، وجرت فيه مسألة التفضيل بين النخل والعنب.

- ومن ذلك: إخباره (ص: ٧١٣) عن مرضه أيام مقامه بمكة، واستشفائه بزمزم؛ لعزة الأدوية والأطباء هناك في ذلك العهد، وقد أخبر بذلك في مواطن عدة من كتبه، كما بينته هناك.

وانظر لتلك المجاورة كتاب «ابن قيم الجوزية» (٥٧ - ٥٩) للشيخ بكر أبو زيد.

وخامسها: نقله عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية مواقف شاهدها بنفسه.

فمن ذلك: قوله (ص: ٧١٢): «وسمعت شيخنا أبا العباس ابن تيمية رحمه الله يقول، وقد عرض له بعض الألم، فقال له الطبيب: أضرُّ ما عليك الكلام في العلم والفكر فيه والتوجه والذكر! فقال: ألستم تزعمون أن

النفس إذا قويت وفرحت أوجب فرحها لها قوةً تعين بها الطبيعة علىٰ دفع العارض، فإنه عدوُّها، فإذا قويت عليه قهرته؟! فقال له الطبيب: بلىٰ، فقال: إذا اشتغلت نفسي بالتوجه والذكر والكلام في العلم، وظفرت بما يشكل عليها منه، فرحت به وقويت، فأوجب ذلك دفع العارض. هذا أو نحوه من الكلام»(١).

وذكر (ص: ٨٤٤) الاستغفار للمسلمين والمسلمات بلفظٍ أورده، ثم قال: «وسمعت شيخنا يذكره، وذكر فيه فضلًا عظيمًا لا أحفظه، وربما كان من جملة أوراده التي لا يخلُّ بها، وسمعته يقول: إنْ جعَله بين السجدتين جاز».

ونقل عنه في مواضع أخرىٰ (ص: ٣٣٥، ٣٩٥، ٦٨٧، ٩٠٣، ٩٤٠، ١٤٨٣).

وسادسها: ذِكر مترجميه للكتاب ضمن سياق تصانيفه.

فأولهم تلميذه ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (٥/ ١٧٥) ووصفه بأنه مجلدٌ ضخم، والصفدي في «الوافي» (٢/ ٢٧١)، وابن حجر في «الدرر الكامنة» (٤/ ٢٢)، وغيرهم(٢).

وسابعها: نقل العلماء عنه، واستفادتهم منه، وعزوهم إليهم.

وهاك ما وقفتُ عليه من ذلك، مرتَّبين بحسب وفياتهم:

١- برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح (ت: ٨٠٣) في «مصائب الإنسان من مكايد الشيطان» (٣٨)(٣).

---

(١) وذكر هذا الموقف كذلك في «روضة المحبين»، كما بينت هناك.

(٢) انظر: «ابن قيم الجوزية» للشيخ بكر أبو زيد (٣٠١).

(٣) أفادنيه الشيخ الدكتور سليمان العمير وفقه الله.

٢- الدَّميري (ت: ٨٠٨) في «حياة الحيوان» (٣/ ٣٦).

٣- الدَّلجي (ت: ٨٣٨) في «الفلاكة والمفلوكون»، ونصَّ علىٰ النقل وسمىٰ الكتاب في (٢٩)، ونقل دون عزو في (٢٣ - ٢٨).

٤- الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢) في «فتح الباري» (١١/ ٢٩٦).

٥- الإزنيقي[1] (ت: ٨٨٥) في «مدينة العلوم»[2].

---

(١) محمد بن قطب الدين، كان تلميذًا لقاضي زاده المتوفىٰ نحو سنة ٨٤٠، كما في «أبجد العلوم» (١/ ٥، ٢/ ٦). وترجمته في «شذرات الذهب» (٩/ ٥١٣)، و«الفوائد البهية» (١٨٥).

وإزنيق أو أزنيك، أو يزنيك كما ينطقها الترك، هي: نيقية nicaea، بلدةٌ قديمة من أعمال القسطنطينية، كان بها مجمع النصارى الشهير، تقع على بحيرةٍ تسمَّىٰ باسمها شرقيَّ بحر مرمرة. انظر: «رحلة ابن بطوطة» (٢/ ١٩٨)، و«معجم البلدان» (١/ ١٦٩)، و«بلدان الخلافة الشرقية» (١٩٠)، و«الأعلام» (٧/ ٥٠)، ودائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٥١).

(٢) انظر: «أبجد العلوم» (٢/ ٣٦٨).

وهذا الكتاب هو أصل «مفتاح السعادة» لطاش كبري زاده، وعلى هذين و«كشف الظنون» بنىٰ صديق حسن خان كتابه «أبجد العلوم». وذكره الكتاني في «التراتيب الإدارية» (٢/ ١٨٩)، وتحرفت نسبته في مطبوعته، وذكر - على التوهم - أن مصنِّفه كان في المئة العاشرة. وتحرفت نسبته كذلك في مطبوعة كتابه «تاريخ المكتبات الإسلامية» (١٥٣)، فترجم محققاه لرجل غيره.

وله نسخٌ خطية في خدا بخش والخزانة الملكية الحسنية وغيرها، وبعضها تنسبه لطاش كبري زاده. والغريب أن حاجي خليفة لم يذكره في «كشف الظنون»، على قرب الدار وعلاقته بموضوع كتابه، فأخشىٰ أن يكون الكتابان ـ «مفتاح السعادة» و«مدينة العلوم» ـ إصدارتين لكتاب طاش كبري زاده، ويكون اسم الثاني ونسبته للإزنيقي خطأ قديمًا من أحد النساخ اغترَّ به صديق حسن خان.

٦- الجلال السيوطي (ت: ٩١١) في «زهر الربىٰ» (٣/ ١٤١).

٧- الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢) في «سبل الهدىٰ والرشاد» (٩/ ٣٥٦).

٨- طاش كبري زاده (ت: ٩٦٨) في «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» (١/ ٣١٤، ٣٣٩). وزعم أن ابن القيم أفرط في الطعن في علم أحكام النجوم.

٩- الملا علي القاري (ت: ١٠١٤) في «الأسرار المرفوعة» (٢٨٢)، نقل عن ابن القيم نصًّا من «المفتاح» دون أن يسمي الكتاب.

١٠- حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧) في «كشف الظنون» (١٢١٦).

١١- السفاريني (ت: ١١٨٨) في «غذاء الألباب» (١/ ٤١، ٤٢، ٧٦، ٧٩، ٢٤٧، ٢٥١، ٤٤٢، ٤٤٥، ٢/ ١٠، ٦٠، ١٢١، ١٢٢، ٤٤٤، ٥٩٥)، و«لوامع الأنوار البهية» (١/ ٦٢، ٢٨٦، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٥٧، ٢/ ٢٥٦)، وغيرها.

١٢- مرتضىٰ الزبيدي (ت: ١٢٠٥) في «إتحاف السادة المتقين»، وقد أكثر من النقل عن الكتاب، تارةً بالتصريح باسم الكتاب وابن القيم كما في (١/ ١٢٩، ٢٠٤)، وتاراتٍ بالتصريح بابن القيم فحسب كما في (١/ ١٠٠، ١٠٥، ١٣٥، ١٣٨، ...)، وتاراتٍ أخرىٰ بدون تصريح كما في (١/ ١٣٧، ١٥٧، ١٥٨، ...).

١٣- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٣٣) في «تيسير العزيز الحميد» (٦٦٠).

١٤- أبو الثناء الآلوسي (ت: ١٢٧٠)، ونقل عنه كثيرًا في «روح المعاني»، تارة بالتصريح كما في (١٧/ ١٠٥، ٢٣/ ٢٢٣، ٣٠/ ١٣١)، ومن مبحث الرد علىٰ المنجمين في مواضع كثيرة بلا تصريح.

١٥- عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٩٣) في «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل» (٢/ ٩٥٣).

١٦- صديق حسن خان (ت: ١٣٠٧) في «أبجد العلوم» (١/ ٩٧).

١٧- نعمان الآلوسي (ت: ١٣١٧) في «جلاء العينين» (٢٩٤).

١٨- جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢) في «محاسن التأويل» (٣٣٧٨، ٤٢١٧، ٦١٧١، ٦٢٠٨، ٦٢٥٠).

١٩- محمود شكري الآلوسي (ت: ١٣٤٢). في «صب العذاب» (٢٤٢)، و«بلوغ الأرب» (٣/ ٣٠٨ - ٣١٢)، وغيرهما.

ثم كثر النقل واستفاض.

وثامنها: توافق كثير من مباحث الكتاب مع ما بحثه في كتبه الأخرىٰ، واتحاد أسلوبه وقلمه.

فمن المباحث المتفقة: مسألة التحسين والتقبيح، وقد رأيتَ إحالاته في كتبه علىٰ بحثها هنا، وتعليل أفعال الله تعالىٰ، وحكمة إخراج آدم من الجنة، والخلاف في الجنة التي أُسْكِنها، ومشاهد العبد في المعصية، وعجائب خلق الإنسان وغيره، والمراد بالنجوم المقسَم بها في القرآن، ومبحث العدوىٰ والطيرة، وتفضيل العسل علىٰ السكر، والمفاضلة بين العنب

والتمر، إلىٰ آخر ذلك، وقد وصلتُها بكتب المصنف الأخرىٰ في الحواشي.

ومن ذلك: ما يستشهدُ به من الشعر، فكثيرٌ من الأبيات يكثر إنشادها في مصنفاته، وطائفةٌ منها يشبه أن تكون له.

أما أسلوبه ونظم كلامه، فهو هو المعهودُ المعروفُ منه في عامة كتبه، وقد ألفناه واستأنسنا به في قراءة نصِّ الكتاب.



تحرير عنوان الكتاب

سمَّىٰ المصنف كتابه في مقدمته ـ علىٰ شريعته المعهودة بالاحتفال بعناوين مصنفاته والتنوُّق فيها ـ اسمًا مسجوعًا، متخيَّر الألفاظ، دالًّا علىٰ المراد دلالةً مجازية، فقال (ص: ١٢٦): «وسمَّيتُه: **مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**».

وانفردت النسخة (ت) كعادة ناسخها في الإغراب، فوقع فيها: «ومنتهىٰ» بدل «ومنشور»، وهو تصحيفٌ بيِّنٌ لا يبلغ المعنىٰ الذي رامه المصنف، وما وقع في سائر الأصول محض الصواب.

وانفردت النسخة (ق)، فزادت: «أهل» قبل «العلم»، وأظنه من سبق قلم الناسخ، وقد كتبه علىٰ الجادة في صفحة العنوان.

والمنشور: ما يكتبه السلطانُ لأحدهم بالإقطاع أو الولاية أو الحماية أو ما يجري مجراها، ولا يحتاجُ لشرفه إلىٰ ختم[1].

فأراد المصنف أن كتابه كذلك في بلوغه بمن قرأه وتحقَّق به ولاية العلم والإرادة، وجلوسه علىٰ سرير الإمارة.

فالولاية علىٰ هذا بكسر الواو، لا بفتحها كما ذهب إليه العلامة الشيخ بكر أبو زيد في كتابه[2]، ولمذهبه وجهٌ بعيد.

---

(١) ويسمىٰ: الفَرمان. انظر: «التكملة» و«التاج» (نشر)، و«تكملة المعاجم» لدوزي (٨/ ٦١، ١٠/ ٢٢٢). وأطال القلقشندي (ت: ٨٢١) في «صبح الأعشىٰ» (١٣/ ١٦٢ - ٢٠٠) القول في الآيين المتصل به لعهده.

(٢) «ابن قيم الجوزية» (٣٠٠).

أما ما نُقِل عن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع من أن الصواب: «ألوية»[1]، فلا دليل عليه، وليس هو من الصواب في شيء[2].

و «المنشور» بهذا المعنىٰ المجازي من الألفاظ التي يكثر دورانها واستعمالها في كتب المصنف[3].

ووقعت تسمية الكتاب في «مدارج السالكين» (١/ ٩١): «مفتاح دار السعادة ومطلب أهل العلم والإرادة». هكذا في مطبوعته، وينبغي أن يُسْتَظهر بأصوله الخطية العتاق. فإن كان كذلك فهي تسميةٌ أخرىٰ، أو وهمٌ ونسيان، والأمران محتملان كثيرا الوقوع، والأول أشبه. وما سماه به المصنف في مقدمة كتابه أولىٰ بالاعتبار بلا ريب.

فالاسم العَلَمي إذن هو: «**مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**»، وكذا كتب علىٰ لوحة العنوان في النسخ (ق، ح، ن). ووقع في (ت، د، ي): «**مفتاح دار السعادة**» بالاقتصار على شطره الأول.

ويُختصَر عند الإحالة علىٰ الكتاب بما يكفي للدلالة عليه في سياقه، فتارةً يكتفىٰ بصدره معرَّفًا بـ «أل»: «**المفتاح**»[4].

---

(١) المصدر السابق (٣٠٢).

(٢) وسماه كذلك يوسف سركيس (ت: ١٣٥١) في «معجم المطبوعات العربية» (٢٢٥)، فلعله هو مصدر الشيخ ابن مانع.

(٣) انظر: «بدائع الفوائد» (١١٧٨)، و«عدة الصابرين» (١٠٩)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤١، ١٨٥، ٢/ ٤٢٣، ٥١٢، ٣/ ٧٣)، و«الوابل الصيب» (١٥٥)، و«الفوائد» (٨٧، ١١٠)، و«حادي الأرواح» (١٤١، ١٤٥)، و«الكافية الشافية» (٩٢٦).

(٤) انظر: «الصواعق المرسلة» (١٤٥٠)، و«زاد المعاد» (٤/ ١٥٤)، و«إغاثة اللهفان»

وتارةً يُقتصَر علىٰ شطره الأول: «**مفتاح دار السعادة**»، وهو المشهور عند مترجميه في سياقهم لمصنفاته، وغيرهم.

أما اختصاره بإسقاط كلمة «دار»[1]، ففيه إخلال، ويشتبه باسم كتاب ابن عربي: «مفتاح السعادة في معرفة المدخل إلىٰ علم الإرادة»، و«مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاش كبري زاده، و«مفتاح السعادة بشرح الزيادة» للمناوي، و«مفتاح السعادة في فضيلة الوضوء والعبادة» لابن الحبال الدمشقي، وغيرها.

ودار السعادة هي الجنة، كما هو ظاهر، ويورده المصنف كثيرًا في كتبه. وكتب ناسخ (ق) فوق العنوان: «يعني: دار الآخرة». وليس كما قال.



(٢/ ١٢٥، ١٣٥)، و«شفاء العليل» (٣٨٢)، و«سبل الهدىٰ والرشاد» (٩/ ٣٥٦).

(١) انظر: «أبجد العلوم» (٢/ ٣٩٥).

تاريخ تأليف الكتاب

ليس في الأصول الخطية التي اعتمدنا عليها ما يشير إلىٰ تاريخ تأليف الكتاب، لكن النظر فيما وصلنا من مصنفات ابن القيم رحمه الله يدل علىٰ أنه لم يتوفَّر على التصنيف إلا بعد وفاة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية وخروجه من سجن القلعة ثالث عشري ذي الحجة سنة ٧٢٨ (١).

ويشبه أن يكون توجَّه بعد ذلك إلىٰ مكة وجاور بها، وفيها صنَّف «الفتوحات القدسية»، و«التحفة المكية»، وأظنهما مجموعين كما قدمتُ الإشارة لذلك، وأحال في «مفتاح دار السعادة» علىٰ الكتاب الأول، ثم «تهذيب السنن» سنة ٧٣٢، وأحال في «المفتاح» عليه، ثم «المفتاح»، فإنه صرَّح في مقدمته (ص: ١٢٦) بأنه من بعض النُّزُل والتحف التي فتح الله بها عليه حين انقطاعه إليه عند بيته، ثم ابتدأ «زاد المعاد» وأحال فيه علىٰ «المفتاح».

ويشبه كذلك أن يكون تصنيف «المفتاح» قبل «طريق الهجرتين»، ويدل لذلك إحالته في «طريق الهجرتين» (١٢٤) علىٰ كتابه الكبير في المحبة، وقد وعد في مقدمة «المفتاح» بتأليفه.

وحين حكىٰ في «طريق الهجرتين» (٨٠٨) الخلاف في المفاضلة بين النخيل والعنب قال: «... وذكرت كلُّ طائفة حججًا لقولها قد ذكرناها في غير هذا الموضع». وهي مذكورةٌ في «المفتاح» (ص: ٦٥٦).

---

(١) «أعيان العصر» (٤/ ٣٦٨).

واستظهر شيخنا الجليل محمد أجمل الإصلاحي في مقدمة تحقيقه لـ «طريق الهجرتين» (٢٠) أنه مؤلف قبل سنة ٧٣٢، فعلىٰ هذا يكون «المفتاح» مما كُتِب قبل ذلك، لكن يشكل عليه أنه أحال في «المفتاح» علىٰ «تهذيب السنن»، فهو متأخرٌ عنه[١].

والحاصل أن كتاب «مفتاح دار السعادة» مما صنفه ابن القيم بمكة، وفيها صنف كتبه الأولىٰ، وقد أحال عليه في كتبه الكبار: «زاد المعاد»، و«إغاثة اللهفان»، و«مدارج السالكين»، و«الصواعق المرسلة»، وغيرها.

والقول في ترتيب تآليفه زمنيًّا يحتاج إلىٰ استقراءٍ تامٍّ لها، واستخراج الإشارات الهادية، والإحالات الكاشفة، ومقارنة مباحثها وطريقته في معالجتها، وهو جديرٌ بالعناية، فعسىٰ أن يوفق لتحريره من شاء الله من عباده.



---

(١) يلاحظ أيضًا أن هذه الإحالات ليست قاطعة في مسألة التقدم والتأخر؛ لأنه قد يحيل عليه في إخراج جديد للكتاب أو في لحقٍ يضيفه بعد ذلك. (علي العمران). وهو كما قال، وإنما هي قرائن وحسب.

موضوع الكتاب وتقسيمه

* افتتح المصنف الكتاب بمقدمةٍ عن الحِكَم والأسرار في إخراج أبينا آدم من الجنة وإسكانه دار الامتحان والابتلاء، وهو بحثٌ عالجه في غير موضع من كتبه، ولما كان ذلك لا يتمُّ إلا علىٰ القول بأن تلك الجنة هي جنة الخلد التي وُعِد المتقون، ذكر الخلاف في الجنة التي أُسْكِنها آدم، وأطال في سياق حجج الفريقين من غير انتصابٍ لنصرة أحد القولين؛ لأن المقصود حاصلٌ علىٰ كل تقدير، كما قال.

* ثم كتب فصولًا في التعليق علىٰ العهد الذي عَهِدَه الله إلىٰ آدم وبنيه حين أهبطه بقوله سبحانه: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقوله: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

* ثم لما كان ذاك العهد لا يوصَلُ إليه أبدًا إلا من باب العلم والإرادة، فالإرادة بابُ الوصول إليه، والعلم مفتاحُ ذلك الباب المتوقف فتحُه عليه، وكمالُ كلِّ إنسان إنما يتمُّ بهذين الأمرين= وضَعَ الكتابَ مؤسَّسًا علىٰ هاتين القاعدتين؛ للتعريف بشرف هذين الأصلين.

وبناءً علىٰ هاتين القاعدتين قسَم الكتاب إلىٰ قسمين: **القسم الأول**: للعلم، **والقسم الثاني**: للإرادة.

والإرادة مصطلحٌ صوفي يتضمن معنىٰ المحبة الباعثة علىٰ العمل، وهي بدء طريق السالكين وأول منازل القاصدين إلى الله تعالى[1]، وهي مركبُ العبودية وأساس بنائها الذي لا تقومُ إلا عليه، فأكمل الخلق عبوديةً ومحبةً أتمُّهم إرادة[2]، واشتقوا منها اسم: «المريد» للواحد، وأهلها هم أهل الإرادة، واستعماله شائعٌ كثير الوقوع في كتب ابن القيم وشيخه.

ولما كان العلمُ إمام الإرادة ومقدَّمًا عليها ومرشدًا لها قدَّم الكلام عليه علىٰ الكلام عنها.

ونبَّه القارئ علىٰ هذا التقسيم وذكَّره به في مواضع من الكتاب.

- فقال (ص: ٦٠٨): «وأحسنُ ما أنفقت فيه الأنفاسُ التفكر في آيات الله وعجائب صنعه، والانتقال منها إلى تعلق القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته؛ **فلذلك عقدنا هذا الكتاب على هذين الأصلين**».

- وقال (ص: ٥٨٤) في حديثه عن حِكَم المخلوقات: «ونحن نذكر هنا فصولًا منثورةً من هذا الباب مختصرةً وإن تضمنت بعض التكرار وترك الترتيب في هذا المقام الذي هو من أهم فصول الكتاب، بل هو لبُّ هذا **القسم الأول**».

- وقال (ص: ٨٥٥): «وقد ذكرنا فصلًا مختصرًا في دلالة خلقه علىٰ وحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله وأسمائه الحسنىٰ، وأردنا أن نختم به

---

(١) «الرسالة القشيرية» (٣٥٠، ٣٥١)، وقال: «فأما حقيقتها فهي نهوض القلب في طلب الحق سبحانه».

(٢) «طريق الهجرتين» (٤٨٠).

القسم الأول من الكتاب، ثم رأينا أن نتبعه فصلًا في دلالة دينه وشرعه علىٰ وحدانيته وعلمه وحكمته...».

- وذكر (ص: ٨١٩) من أوجه حِكَم وقوع العبد في الذنب: «أنه سبحانه يستجلب من عبده بذلك ما هو من أعظم أسباب السعادة له من استعاذته واستعانته به...، ومن أنواع الدعاء والتضرع والابتهال والإنابة والفاقة...، فيحصل للروح بذلك قربٌ خاص لم يكن يحصل بدون هذه الأسباب...»، ثم قال: «وأسرار هذا الوجه يضيقُ عنها القلب واللسان وعسىٰ أن يجيئك **في القسم الثاني من الكتاب** ما تقرُّ به عينك إن شاء الله تعالىٰ».

- وذكر (ص: ١٠٨٥) ظنَّ المتكلمين أن الطاعة تصدر عن خوفٍ غير مقرونٍ بمحبة، بناءً علىٰ أصلهم الباطل أن الله لا تتعلق المحبة بذاته وإنما بمخلوقاته مما في الجنة من النعيم، ثم قال: «وسنذكر **في القسم الثاني** إن شاء الله **في هذا الكتاب** بطلان هذا المذهب من أكثر من مئة وجه،... **وسيرد عليك بسط الكلام في هذا عن قريب إن شاء الله**».

- وذكر (ص: ١١٥٩) أن كمال العبد بمعرفة أسماء الله وصفاته وما ينبغي له، ومعرفة دينه وأمره، ثم قال: «وهذا هو الذي خلق له، بل وأريد منه، بل ولأجله خلقت السماوات والأرض، واتخذت الجنة والنار، **كما سيأتي تقريره من أكثر من مئة وجه إن شاء الله**».

- وذكر (ص: ٨١٣) خبر فرح الواجد راحلته بعد أن أيس منها، ثم قال: «وليس في أنواع الفرح أكمل ولا أعظم من هذا الفرح، **كما سنوضح ذلك ونزيده تقريرًا عن قريب إن شاء الله**».

- وقال (ص: ١٩): «**وسيأتي إن شاء الله** الكلام على هذا الحديث وذكر

سرِّ هذا الفرح بتوبة العبد».

- وقال (ص: ١١٦١): «**وسنبين إن شاء الله عن قريب** بالبراهين الشافية أن النفس ليس لها نجاةٌ ولا سعادةٌ ولا كمالٌ إلا بأن يكون الله وحده محبوبها ومعبودها...».

- وقال (ص: ١١٦٤): «**وسنذكر إن شاء الله عن قريب** معنىٰ تعلق الإرادة به تعالىٰ وكونه مرادًا والعبد مريدٌ له».

- وقال (ص: ١١٦٦): «وكل حيٍّ شاعر لا صلاح له إلا بأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده وغاية مراده، **وسيمرُّ بك إن شاء الله بسطُ القول في ذلك**، وإقامة البراهين على هذا المطلوب الأعظم الذي هو غاية سعادة النفوس وأشرف مطالبها».

فهل تمَّ بناء الكتاب علىٰ تينك القاعدتين؟ وهل أتىٰ الكلام علىٰ القسم الثاني المتعلِّق بالإرادة وما ورد في تلك الإحالات؟

أما القسم الأول، وهو ما يتعلق بالعلم، فإنه افتتح القول فيه بعد المقدمة، فساق أكثر من مئة وخمسين وجهًا في بيان فضله وشرفه، ووجوه ذلك، وآثاره، ودلائله، فأمتع وأطرب، وأتىٰ بكل بديع.

ثم ما زال يستطرد من موضوع إلىٰ موضوع حتىٰ طال عليه الأمر، وصار الكتاب مجلدًا ضخمًا[1]، ولـمَّا يبدأ بعد في القسم الثاني الذي ذكره في

---

(١) قال ابن رجب في سياق ذكر مصنفات ابن القيم: «ومفتاح دار السعادة **مجلد ضخم**». «ذيل طبقات الحنابلة» (٥/ ١٧٥). وقال الصفدي في «أعيان العصر» (٤/ ٣٦٩): «**مجلد كبير**».

المقدمة وأحال عليه في تلك المواضع، فكفَّ قلمه بعد أن أرخىٰ له الطِّوَل، واختار أن يجعل الكتاب خالصًا للقسم الأول، وهو العلم وما يتصلُ به، فختم الكتاب بقوله: «وليكن هذا آخر الكتاب...»!

وكأنه رأىٰ أن يدع موضوع القسم الثاني لكتابٍ آخر قائم برأسه، فعاد إلىٰ مقدمة الكتاب فألحق بها ـ عند موضع ذكر بناء الكتاب على تينك القاعدتين ـ قوله: «ثم نتبعه إن شاء الله بعد الفراغ منه كتابًا في الكلام على المحبة وأقسامها وأحكامها وفوائدها وثمراتها وأسبابها وموانعها وما يقويها وما يضعفها، والاستدلال بسائر طرق الأدلة من النقل والعقل والفطرة والقياس والاعتبار والذوق والوجد على تعلُّقها بالإله الحق الذي لا إله غيره، بل لا ينبغي أن تكون إلا له ومن أجله، والرد على من أنكر ذلك وتبيين فساد قوله عقلًا ونقلًا وفطرةً وقياسًا وذوقًا ووجدًا».

ولعل ذلك الكتاب هو «المورد الصافي والظلُّ الضافي»، أو «قرة عيون المحبين وروضة العارفين»، كما بينتُ في تعليقي هناك.

فانظر الآن كيف وقع له ذاك الاستطراد الطويل الغريب!

* افتتح القسم الأول المتعلق بالعلم وشرفه بذكر الوجوه الدالة علىٰ ذلك، وحين انتهىٰ إلىٰ الوجه الثالث والخمسين بعد المئة، وهو ما ثبت عن بعض السَّلف أنه قال: «تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستِّين سنة»، استطرد إلىٰ الكلام في التفكر ومتعلَّقه ومجاريه، ثم استرسل في فصولٍ كثيرة في بيان عجيب خلق الله وباهر صنعه وتدبيره في خلقه!

فهذا موضوعٌ مستقلٌّ كان الأليقُ إفراده بتصنيفٍ خاص، ولابن القيم به عنايةٌ واحتفالٌ في كتبه، خاصة «شفاء العليل»، و«أيمان القرآن»، فلو جمعت

مادتُه من هذه الكتب الثلاثة وغيرها ورتِّبت لجاءت كتابًا لطيفًا.

ومما يتصل بذلك: الكلام في حكمة الله في أمره ونهيه والمحاسن المودعة في شريعته، وخواصُّ العباد يشهدون ذلك أعظم من شهودهم حكمة الخلق، وقد استطرد ببيان الكثير منها، وتمنى إفرادها بالتصنيف، وقال (ص: ١٠٦٨): «لعل الله أن يساعد بمصنَّف في ذلك».

* ولم يزل يتكلم في بدائع الخلق حتىٰ وصل إلىٰ الحكمة في ستر الآجال عن العباد، فاستطرد بذكر خلاف الناس في الحكمة وتعليل أفعال الرب تعالىٰ، وما تشهده كلُّ فرقةٍ في المعصية، وكتب فصولًا بديعةً في مشاهد الخلق في مواقعة الذنب.

وهو بابٌ جليل أحسن ابن القيم رحمه الله استفتاحه في كتبه، كما بينتُ في التعليق هناك (ص: ٨٠٨)، ولو أفرد بالتصنيف لكان أهل ذلك وأحقَّ به.

فهذا هو الموضوع الثاني.

* ثم عاد إلى القول في حكمة الله تعالىٰ، فكتب فصلًا في حكمته سبحانه في ابتلاء عباده وصفوته، ثم فصلًا في الحكمة من دينه وشريعته، واستطرد بالاستدلال والاحتجاج علىٰ حاجة الناس للشريعة وموافقتها للفطر والعقول، فساق فصولًا في بعض الحِكَم لمباني الدين وشرائعه، ولما كان ذلك يفتقر لإثبات أن في ذوات تلك الأحكام صفاتٍ وجوديةً أوجبت حُسْن المأمور به وقُبْح المنهيِّ عنه، وإلا لزم منه لوازم باطلة= استطرد في بحث مسألة التحسين والتقبيح العقليين وذيولها، وأفاض فيها بذكر أقوال الفِرَق واستدلال أصحابها ومسالكهم وما أورد علىٰ أدلة كل فريق من الاعتراضات، ثم جلس مجلس الحكومة ليقضي بالحق بينهم، فقرر مذهب

أهل السنة في هذا الباب أحسن تقرير.

فهذا الموضوع الثالث من موضوعات الاستطراد، وهو أشملُ موضعٍ بحث فيه ابن القيم مسألة الحسن والقبح العقليين، وما زال يحيل عليه في كتبه كلما ورد ذكر المسألة كما مرَّ بك في فصل نسبة الكتاب.

* ثم لـمَّا كان من قول بعض فرق الصابئة المنكري النبوَّات في التحسين والتقبيح العقليين: «إنه لـمَّا كانت الموجوداتُ في العالم السفلي مركبةً على تأثير الكواكب والروحانيات التي هي مدبرات الكواكب، وكان في اتصالاتها نظرُ سعدٍ ونحسٍ= وجب أن يكون في آثارها حسنٌ وقبحٌ في الأخلاق والخلق والأفعال، والعقول الإنسانية متساوية في النوع، فوجب أن يدركها كل عقل سليم،... فنحن لا نحتاج إلى من يعرِّفنا حُسْن الأشياء وقبحها وخيرها وشرها ونفعها وضرها»= استطرد ابن القيم بالردِّ والإبطال لعلم أحكام النجوم الذي يدعي تأثير الكواكب وتدبيرها لأحوال العالم، وأطال في ذلك، وأتىٰ على بنيانهم من القواعد(١).

وهذا الموضوع الرابع لا نظير له في كتب ابن القيم رحمه الله، وهو مبحثٌ عظيمُ الفائدة جليل النفع. وحقه أن يستقلَّ بمصنَّفٍ يُعَنْوَن بإبطال التنجيم، على غرار رسالته «إبطال الكيمياء».

* ثم لما تصدىٰ لمناقشة احتجاجات الرازي لعلم أحكام النجوم، وكان منها الاحتجاج ببعض حكايات إصابة المنجمين في أحكامهم، أجاب بأنها

(١) وقال (ص: ١٣٩٠): «وهذا هو السبب الذي سُقنا الكلام لأجله معهم لـمَّا حكينا قولهم: إنه لـمَّا كانت الموجوداتُ في العالم السُّفليِّ...».

ليست بأكثر من الحكايات المنقولة عن أصحاب زجر الطير والعيافة ونحوها من علوم الجاهلية، واستطرد في الكلام عليها وعلى العدوىٰ والشؤم، وما حكي عن العرب فيها من قصصٍ وأشعار، وتفسير ما ورد في الكتاب والسنة بشأنها، ومذاهب الأئمة والسلف في الباب.

وهذا خامس الموضوعات، وهو بحثٌ طريفٌ فيه فقهٌ وتاريخٌ وأدب، وهو كما ترىٰ مستقلٌّ بنفسه.

وبعد أن فرغ منه ابن القيم ختم الكتاب بقوله: «وليكن هذا آخر الكتاب...».

فهذه مواقعُ أقدام ذلك الاستطراد الطويل، وتلك هي موضوعاته، وقد كان الأليقُ بصناعة التأليف إفرادها بتصانيفَ مستقلةٍ خاصة، والإحالة عليها إن كانت ناجزة، كما فعل حين جرىٰ ذكر صنعة «الكِيمياء» في سياق حديثه عن حكمة خلق الذهب والفضة وعزَّتهما (ص: ٦٣٣)، فإنه بيَّن بطلانها بكلام موجز، ثم قال: «وقد ذكرنا بطلانها وبينَّا فسادها من أربعين وجهًا في رسالةٍ مفردة»، ألا تراه لو استطرد فذكر تلك الوجوه كما استطرد في المواضع الأخرىٰ، لزادت الموضوعاتُ الخمسة موضوعًا سادسًا؟!

أو العزم علىٰ إفرادها بالتصنيف، كما صنع (ص: ٥٨٨) حين مرَّ به دليل التمانع في آيتي الأنبياء والمؤمنون، فإنه أشار إليه بإيجاز، ثم قال: «وسنفرد إن شاء الله كتابًا مستقلًّا لأدلة التوحيد».

وكما صنع (ص: ٧١١) حين فاضل بين العسل والسكَّر، ثم قال: «وسنفرد إن شاء الله مقالةً نبين فيها فضل العسل على السكَّر، من طرقٍ عديدةٍ لا تُمْنَع وبراهين كثيرةٍ لا تُدْفَع».

فلو صنع بباقي الموضوعات صنيعه هذا لأمكنه أن يأتي علىٰ القسم الثاني، وهو الكلام في إرادة الله و محبته، دون أن يطغىٰ طول الكتاب فيصرفه عن إكماله، وكان سيتمُّ بذلك مستوفيًا لغرضه، محققًا لعنوانه.

وقد حمل هذا الاستطرادُ المصنفَ على أن يختم كتابه بطريقةٍ غير مألوفةٍ في كتبه، إذ جعلها أشبه بالفهرست لمضامينه، فقال: «وليكن هذا آخرَ الكتاب، وقد جُلِبَت إليك فيه نفائس في مثلها يتنافسُ المتنافسون، وجُلِيَت عليك فيه عرائس إلىٰ مثلهنَّ بادَر الخاطبون.

فإن شئتَ ٱقتبستَ منه معرفةَ العلم وفضله، وشدَّة الحاجة إليه، وشرفَه وشرفَ أهله، وعِظَم موقعه في الدارين.

وإن شئتَ ٱقتبستَ منه معرفةَ إثبات الصانع بطُرقٍ واضحاتٍ جليَّات تَلِجُ القلوبَ بغير ٱستئذان، ومعرفةَ حكمته في خلقه وأمره.

وإن شئتَ ٱقتبستَ منه معرفةَ قَدْر الشريعة، وشدَّةَ الحاجة إليها، ومعرفةَ جلالتها وحكمتها.

وإن شئتَ ٱقتبستَ منه معرفة النبوَّة وشدَّةَ الحاجة إليها، بل ضرورة الوجود إليها، وأنه يستحيلُ من أحكم الحاكمين أن يُخْلِيَ العالم عنها.

وإن شئتَ ٱقتبستَ منه معرفةَ ما فَطر اللهُ عليه العقولَ من تحسين الحسن وتقبيح القبيح، وأنَّ ذلك أمرٌ عقليٌّ فطري، بالأدلة والبراهين التي ٱشتَمل عليها هذا الكتاب ولا توجدُ في غيره.

وإن شئتَ ٱقتبستَ منه معرفة الردِّ علىٰ المنجِّمين القائلين بالأحكام بأبلغ طرق الردِّ عليهم من نفس صناعتهم وعلمهم، وإلزامهم بالإلزامات المُفْحِمة التي لا جوابَ لهم عنها، وإبداء تناقضهم في صناعتهم،

وفضائحهم وكذبهم علىٰ الخلق والأمر.

وإن شئتَ ٱقتبستَ منه معرفةَ الطِّيَرة والفأل والزَّجْر، والفرقَ بين صحيح ذلك وباطله، ومعرفةَ مراتب هذه في الشريعة والقَدَر.

وإن شئتَ ٱقتبستَ منه أصولًا نافعةً جامعةً مما تَكْمُلُ به النفسُ البشرية وتنالُ بها سعادتَها في معاشها ومعادها.

إلىٰ غير ذلك من الفوائد التي ما كان منها صوابًا فمن الله وحده هو المانُّ به، وما كان منها خطأً فمن مؤلِّفه ومن الشيطان، والله بريءٌ منه ورسوله...».

كما حمل ذلك الحاج خليفة على أن يقول عن الكتاب: «وهو كتابٌ كبير الحجم، **وليس بمرتَّب، بل فيه فوائدُ مرسلة** يقتَبس من مجموعها: معرفة العلم وفضله، ومعرفة إثبات الصانع، ومعرفة قدر الشريعة، ومعرفة النبوة، وشدة الحاجة إلى هذه المذكورات، ومعرفة الرد على المنجمين، ومعرفة الطيرة والفأل والزجر، ومعرفة أصول نافعة جامعة فيما تكمل به النفس البشرية... إلى غير ذلك من الفوائد»(١).

ولعله لذلك أيضًا وصفه نعمان الآلوسي (ت: ١٣١٧) بقوله: «وكتاب مفتاح دار السعادة مجلدٌ ضخمٌ **غريب الأسلوب**»(٢).



---

(١) «كشف الظنون» (١٧٦١).

(٢) «جلاء العينين» (٢٩٤).

موارد الكتاب

لابن القيم رحمه الله شغفٌ عظيمٌ بالكتب وولوع، يقول صاحبه ابن كثير، وتلميذه ابن رجب: «اقتنىٰ من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيلُ عُشره من كتب السلف والخلف»[1].

وقال الصفدي: «ما جمع أحدٌ من الكتب ما جمع؛ لأن عمره أنفقه في تحصيل ذلك،... وكان عنده من كل شيءٍ في غير ما فنٍّ ولا مذهبٍ بكلِّ كتابٍ نسخٌ عديدة...»[2].

وأثر تلك المكتبة الواسعة في تواليفه واضحٌ مبين.

ومن شواهد عنايته بتحصيل الأصول المتقنة العزيزة، في كتابنا:

- نقل بعضهم نصًّا عن كتاب «الحيوان» لأرسطو، فقال ابن القيم: «وأما ما حكوه عن أرسطو فنقلٌ محرَّف، ونحن نذكر نصَّه في الكتاب المذكور، فإن لنا به نسخةً مصححة قد اعتني بها...» ثم ذكره[3].

- ونقل مقابسةً طويلة من كتاب «المقابسات» لأبي حيان التوحيدي، من نسخةٍ «بخطِّ رزق الله المنجم، وكان من زعمائهم»[4] أي: زعماء المنجمين.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٨/ ٥٢٤). وانظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٥/ ١٧٤).

(٢) «أعيان العصر» (٤/ ٣٦٨).

(٣) (ص: ١٢٥٦).

(٤) (ص: ١٣١٤).

وانظر سعة اطلاعه حين يقول في معرض رده علىٰ احتجاج الرازي لصناعة التنجيم: «ومن العجب قوله [أي: الرازي]: لو كان هذا العلم فاسدًا لاستحال إطباق أهل المشرق والمغرب من أول بناء العالم إلىٰ آخره عليه! وليس في الفرية أبلغ من هذا ولا في البهتان، أترىٰ هذا الرجل ما وقف علىٰ تأليفٍ لأحدٍ من أهل المشرق والمغرب في إبطال هذا العلم والردِّ علىٰ أهله؟! **فقد رأينا نحن وغيرنا ما يزيد علىٰ مئة مصنفٍ في الردِّ علىٰ أهله وإبطال أقوالهم**، وهذه كتبهم بأيدي الناس، وكثيرٌ منها للفلاسفة الذين يعظِّمهم هؤلاء ويرون أنهم خلاصة العالم، كالفارابي وابن سينا وأبي البركات الأوحد وغيرهم، **وقد حكينا كلامهم، وأما الردود في ضمن الكتب حين يُرَدُّ علىٰ أهل المقالات فأكثر من أن تذكر، ولعلها أن تزيد علىٰ عدَّة الألف**، تجد في كل كتابٍ منها الردَّ علىٰ هؤلاء وإبطال مذهبهم...»[1].

ومن شواهد سعة اطلاعه: أنه قرَّر شبهةً وردت في «المختصر» لابن الحاجب، ثم قال: «هذا وجه تقرير هذه الشبهة، وإن كان **كثيرٌ من شرَّاح المختصر** لم يفهموا تقريرها على هذا الوجه...»[2].

وموارده في هذا الكتاب علىٰ أقسام أربعة:

القسم الأول: ما صرَّح فيه باسم الكتاب ومصنفه.

وهاهي مرتبةً علىٰ حروف المعجم:

- «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم، صرَّح باسم الكتاب في

(١) (ص: ١٤٦٣).

(٢) (ص: ٩٥٩). وللمختصر ما ينيف على السبعين شرحًا.

(ص: ١٤٥٢)، ونقل منه في موضع آخر مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي، صرَّح به في (ص: ٤٠٩)، ونقل عنه في مواضع أخرى بدون تصريح، كما سيأتي.

- «الأربعة» (المقالات الأربع) لبطليموس (ص: ١٣١١).

- «أسرار النجوم» المعروف بـ (المذاكرات) لأبي سعيد شاذان المنجم (ص: ١٢٢٥).

- «أسرار النجوم» لأبي معشر المنجم (ص: ١٢٢١).

- «أقسام اللذات» للرازي (ص: ٤١٠).

- «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي (ص: ١٢٠٦).

- «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ص: ٤٧٠).

- «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٥٥٣، ١٥٧٦).

- «ترتيب العلم» لثابت بن قرة (ص: ١٣١٣).

- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) (ص: ٥٤، ٥٦).

- تفسير الراغب الأصبهاني (ص: ٥٤). ونقل عنه في موضع آخر دون تصريح، كما سيأتي.

- تفسير الرماني (ص: ٥٣).

- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) (ص: ٥٢).

- تفسير الماوردي (النكت والعيون) (ص: ٥٥، ٨٣، ١٣٦١).

- تفسير أبي مسلم الأصبهاني (ص: ٥٢).

- تفسير ابن المنذر (ص: ١٣٧٥).

- تفسير المنذر بن سعيد البلوطي (ص: ٢٨، ٥٢).

- «تفسير الموطأ» لابن مزين (ص: ٨٢، ٣٨٩).

- «التفهيم إلى صناعة التنجيم» للبيروني (ص: ١٢٣٤، ١٢٣٥).

- «التمهيد» لابن عبد البر، صرَّح باسم الكتاب في (ص: ١٥١٨)، ونقل منه في مواضع أخرى مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «الجامع» للترمذي صرَّح باسم الكتاب في (ص: ٦٩، ٧٣، ٦٢٠)، ونقل منه في مواضع أخرى مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «الجامع» لابن وهب، صرَّح باسم الكتاب في (ص: ١٤٩١، ١٥٢٧)، ونقل منه في مواضع أخرى مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «الجليس والأنيس» للمعافىٰ بن زكريا الجريري (ص: ٤٧٢).

- «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ص: ٣٤٨).

- «الحيوان» لأرسطو (ص: ١٢٥٦، ١٢٦٠).

- «الرد على المنطقيين» لابن تيمية (ص: ٤٤٨).

- رسالة أبي القاسم علي بن عيسى في إبطال التنجيم (ص: ١٢٣٦).

- رسالة لابن الهيثم في أقسام الخلل الواقع في آلات الرصد (ص: ١١٨٨).

- «السماع الطبيعي» لأرسطاطاليس (ص: ١٣٠١، ١٣١٢).

- «السنن» لابن ماجه (ص: ٢١٣، ١٤١٩، ١٤٨٤).

- «السنن» لأبي داود، صرَّح باسم الكتاب في (ص: ١٥٤٤)، ونقل منه في مواضع أخرى مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد (ص: ٢٩٢).

- «الشفاء» لابن سينا (ص: ١١٨٢، ١٣١٣).

- صحيح البخاري (ص: ٤٦، ٤٨، ٢٠٢، ٤٠٢، ٧٣٦، ١٣٨١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٥٠٩، ١٥٣٤، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٧٤).

- صحيح ابن حبان (ص: ٣٤٦، ٤٥١)، وسمَّاه (ص: ٤٠٤): «صحيح أبي حاتم».

- صحيح مسلم (ص: ٣٨، ٤٧، ١٦٦، ١٩٤، ٢٠١، ٣٠٠، ٣٦٣، ٣٩٩، ٤٢٨، ٥٠٠، ٧٣٤، ٨٩٦، ١٠٧٩، ١٤٨٥، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١١، ١٥٣٣، ١٥٣٥، ١٥٤٠، ١٥٦٠).

- «العلل» لعبد الله بن الإمام أحمد (ص: ٤٨٣).

- «العلل» للخلال (ص: ٤٦٥).

- «العلم» للخلال (ص: ٣٣٢).

- «غريب الحديث» لأبي عبيد، صرَّح باسم الكتاب في (ص: ١٤٨٦)، ونقل منه في موضع آخر مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٨٣).

- «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي، صرَّح باسم الكتاب في (ص: ٣٢٦)، ونقل منه في مواضع أخرى مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «الفوائد» لتمام، صرَّح باسم الكتاب في (ص: ٤٦٦)، ونقل منه في موضع آخر مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «القلب والإبدال» لابن السكيت (ص: ١٥٧٢).

- «الكامل» للمبرد (ص: ١٢٠١).

- كتاب في معرفة الثوابت (صور الكواكب الثمانية والأربعين) لعبد الرحمن بن عمر الصوفي (ص: ١٢٢٩).

- «المجالسة» للدينوري (ص: ١٧٢).

- «المجمل» لكوشيار بن باشهري الديلمي(ص: ١٢٣١).

- « محاسن الشريعة» للقفال، ذكره (ص: ٩٦٤)، ونقل منه في مواضع أخرى دون تصريح، كما سيأتي.

- مسائل إسحاق بن منصور الكوسج (ص: ٥١٠).

- مسائل حرب (ص: ٣٤٣، ٥٠٣).

- «المستدرك» للحاكم (ص: ١٩٤)، وسمَّاه (ص: ١٩٦): «صحيح الحاكم».

- مسند الإمام أحمد (ص: ٧٣، ٢٠٣، ٢٩١، ٥٢١، ٥٨١، ١٥٢٦، ١٥٤٤).

- مسند أبي يعلى الموصلي (ص: ٤٤١).

- مصنف لأبي سعيد السيرافي في الرد على المنطق (ص: ٤٤٦).

- مصنف للمنذر بن سعيد البلوطي في مسألة الجنة التي أسكنها آدم (ص: ٥٢).

- «المعارف» لابن قتيبة (ص: ٥١).

- «المعتبر» لأبي البركات بن ملكا (ص: ١٢٨٩).

- «المعجم» لأبي نعيم، (لعله معجم شيوخه) (ص: ٣٣٧).

- «المفاضلة بين الزرع والنخل» للجاحظ (ص: ٦٥٦).

- «المقابسات» لأبي حيان التوحيدي (ص: ١٣١٤).

- «مناقب الشافعي» للحاكم (ص: ١٤٤٠).

- «مناقب الشافعي» للرازي (ص: ١٤٤٠).

- «الملل والنحل» (الفِصَل) لابن حزم (ص: ٥٣).

- «الموطأ» لمالك، صرَّح باسمه في (ص: ١٥١٠، ١٥٨٨)، ونقل منه في موضع آخر مكتفيًا باسم المصنف، كما سيأتي.

- «النجاة» لابن سينا (ص: ١١٨٢).

القسم الثاني: ما صرَّح فيه باسم المصنِّف دون تسمية كتابه.

وسأوردها مرتبةً علىٰ المصنِّفين، مع تسمية كتبهم:

- الترمذي. (ص: ١٦٨، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢٩٣، ٤٠٣، ٤٢١، ٥٦٦، ٥٧٥، ٦٦١، ٧٨٩). من كتابه «الجامع».

- تمَّــام. (ص: ٤٢٢). من كتابه «الفوائد».

- ابن أبي حاتم. (ص: ١٤٤٦). من كتابه «آداب الشافعي ومناقبه».

- ابن جرير الطبري. (ص: ٤٥٧، ١٣٩٦) من تفسيره «جامع البيان»، وفي (ص: ١٤٨٧) من كتابه «تهذيب الآثار».

- ابـن جنـي. (ص: ١٥٧٢). مـن كتابـه «التنبيـه عـلى شرح مـشكلات الحماسة».

- ابـن الجـوزي. (ص: ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧١). مـن تفـسيره «زاد المسير».

- الجوهري. (ص: ١٤٨٧). من كتابه «الصحاح».

- الجويني. (ص: ٢٨٨). من كتابه «البرهان».

- الخطابي. (ص: ١٥٥٣). من «معالم السنن» أو «أعلام الحديث».

- الخطيـب البغـدادي. (ص: ١٨٥، ٣٤٩) مـن كتابـه «الفقيـه والمتفقـه»، وفي (ص: ٤٦٣، ٤٦٤) من كتابه «شرف أصحاب الحديث».

- أبو داود. (ص: ١٧٠، ٩٠٦، ١٥٣١). من كتابه «السنن».

- الزجاج. (ص: ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٤، ٤٨٦). من كتابه «معاني القرآن».

- الزمخشري. (ص: ٤٠). من كتابه «الكشاف».

- ابن الصلاح. (ص: ٣٥٧). ولم يتبين لي موضع النقل من كتبه.

- ابن عبد البر. (ص: ٤٨٣، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠) مـن «جـامع بيـان العلـم وفـضله»، وفي (ص: ١٥٢٤، ١٥٢٦، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٦٠، ١٥٨٤، ١٥٨٨) مـن «التمهيد».

- ابن عبد الحكم. (ص: ١٤٨٩). من كتابه «سيرة عمر بن عبد العزيز».

- عبد الملك بن حبيب. (ص: ١٥٦٣). من كتابه «تفسير غريب الموطأ».

- أبو عبيد. (ص: ١٥٨٥). من كتابه «غريب الحديث».

- أبو عبيدة. (ص: ١٤٧٨). من كتابه «مجاز القرآن»، ويحتمل أن يكون منقولًا بواسطة.

- ابن عدي. (ص: ١٨٦، ١٩٥، ٢١٢، ٤٦٣، ٤٦٦). من كتابه «الكامل».

- ابن عطية. (ص: ٤٨٥، ٥٨١، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠). من تفسيره «المحرر الوجيز».

- الغزالي. (ص: ١٤٢١). من كتابه «تهافت الفلاسفة».

- الفارابي. (ص: ١١٩٥، ١٤٣١). من رسالته «ما يصح وما لا يصح من أحكام النجوم».

- الفراء. (ص: ٣٠٨، ١٤٧٨). من كتابه «معاني القرآن»، ويحتمل أن يكون منقولًا بواسطة.

- أبو القاسم الزجاجي. (ص: ١٤٧٥). والنص في كتابه «تفسير رسالة أدب الكتاب».

- ابن قتيبة. (ص: ٤٧٨) من كتابه «عيون الأخبار»، وفي (ص: ١٥٠٧، ١٥٦٥) من كتاب آخر أحسبه «فضل العرب والتنبيه على علومها»، وقد طبع عن نسخة فيها طمسٌ كثير.

- مالك بن أنس. (ص: ١٤٩٢). من كتابه «الموطأ».

- محمد بن عبد الواحد المقدسي الضياء. (ص: ٧٢٥)، ولعل المقصود كتابه «النهي عن سب الأصحاب وما ورد فيه من الذم والعقاب».

- المدائني. (ص: ١٤٦٩، ١٥٠١، ١٥٠٣، ١٥٠٧، ١٥٤٢)، ويشبه أن يكون النقل من كتابه «القيافة والفأل والزجر»، ولم يعثر عليه بعد.

- مسدد بن مسرهد. (ص: ١٥١١). والنقل من كتابه «المسند».

- النسائي. (ص: ٩١٧). من كتابه «السنن».

- الواحدي. (ص: ٣٥٦). من تفسيره «الوسيط» أو «البسيط».

- ابن وهب. (ص: ١٥١٠، ١٥١٨، ١٥٣٤). من كتابه «الجامع».

القسم الثالث: ما صرَّح فيه باسم الكتاب دون تسمية مصنِّفه.

وسأوردها مرتبةً علىٰ حروف المعجم مع تسمية مصنِّفيها:

- «شرح مقالات بطليموس الأربع» (ص: ١٣١٢). وقد شرح كتابه غير واحد كما بينتُ هناك.

- «الصحاح» (للجوهري) (ص: ٤٣٨).

- الصحيحان (للبخاري ومسلم) (ص: ٤٥، ٤٦، ١٤٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، ٢٤٦، ٧٣٦، ٧٣٧، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٩٠، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١١، ١٥١٦، ١٥٣٤، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٦٠).

- «الكشاف» (للزمخشري) (ص: ٤٨٧).

- «المختصر» (لابن الحاجب) (ص: ٩٥٩).

- «المسند» (لأحمد) (ص: ٥٢١، ١٥٤٢).

- «الموطأ» (لمالك) (ص: ٤٨، ٤٧٨، ٦٣٨، ١٤٩٣).

ويلحق بهذا:

- السنن (ص: ٤٦، ٢٣٠).

- الصحيح (ص: ٢٠٠، ٢٣٠، ٤٢٨، ٤٦٨، ٥٧٦، ٦٩٢، ١١٧٠، ١٤٩٣، ١٥٤٣، ١٥٤٨).

- كتب الحيوان (ص: ٧١٦، ١٤٣٦).

- كتب الطب (ص: ٦٦٤).

القسم الرابع: ما لم يصرِّح فيه باسم الكتاب أو مصنِّفه.

وسأسوق ما وقفتُ عليه من ذلك مرتبًا حسب وفيات مصنفيها:

* عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥):

ونقل من كتاب «**الدلائل والاعتبار**» المنسوب إليه [(١)]، وكاد أن

---

(١) وهو كتابٌ متنازع النسبة. ولا ريب أن للجاحظ كتابًا في هذا الباب، ذكره في جريدة مصنفاته النديم في «الفهرست» (٢١١)، وياقوت في «إرشاد الأريب» (٢١١٩)، وسمياه: «التفكر والاعتبار»، لكن بعض المعاصرين ذهب إلى أن ما بين أيدينا اليوم ليس به، وأنه منحولٌ على أبي عثمان لا يشبه أسلوبه، ومن أولئك: حسن السندوبي في «أدب الجاحظ» (٤٤، ١٥٣)، ومحمود أبو رية في رسائل الرافعي إليه (١٤٧، ٢٠٨). والمثبتون له المصححون لنسبته أجلُّ، **فأولهم**: الإمام المحقق المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير (ت: ٨٤٠)، فقد وقف عليه وأطراه وسماه: «العبر والاعتبار»، في «العواصم والقواصم» (٤/ ٣٣، ٣٧)، و«إيثار الحق على الخلق» (١٦٩). **وثانيهم**: العلامة الشوكاني (ت: ١٢٥٠) في «فتح القدير» (٥/ ٥٦٧)، =

وأثنى عليه كذلك، ومن الكتاب نسخٌ خطية في مكتبات اليمن، وللزيدية هناك عنايةٌ بتراث المعتزلة وتهمُّم، وكثيرٌ منه طبع عن أصول احتفظت بها خزائنهم. **وثالثهم**: إمام الأدب لعصره مصطفى صادق الرافعي، وحسبك به خبرةً بطرائق الكلام وأنسًا ببيان الجاحظ، فقد كتب لأبي ريه حين طبع الكتاب بحلب سنة ١٩٢٨ يوصيه به: «طبع للجاحظ كتابٌ جديد اسمه كتاب الدلائل والاعتبار، فلا يفتك هذا الكتاب، وهو من أهم كتب الجاحظ، بل لعله أهمها في الرأي والفكر ؛ لأنه أغار فيه على آراء الفلاسفة القدماء في حكمة المخلوقات وجاء بها في عبارة سَرِيَّة، رحم الله هذا الرجل وزمنه وأهل زمنه». «الرسائل» (١٤٧). ولم يقنع بذلك صاحبه، فكتب إليه سنة ١٩٣١ يسأله رأيه في نسبة الكتاب، فأجابه الرافعي: «لا يمكن إثباتُ كتاب لمؤلف كالجاحظ زوَّر على غيره وزوَّر غيرُه عليه إلا مقابلة الكتاب بأسلوبه في دقائقه وتفاصيله، والراجح أن كتاب دلائل الاعتبار له لولا بعض عبارات ضعيفة تعترض في أثنائه». «الرسائل» (٢٠٨).

طبع الكتاب بمصر قديمًا سنة ١٩١٤ بالمطبعة الأميرية ملحقًا بكتاب التاج المنسوب للجاحظ، ولم يشتهر، ثم نشره الشيخ محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب سنة ١٩٢٨ بعنوان: «الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير»، فاشتهر وذاع، وسقطت مقدمته من النسخة التي اعتمد عليها، ووقف المستشرق الألماني كرنكو على نسخة متأخرة للكتاب في المتحف البريطاني فنشر مقدمتها في « مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق (٩/ ٥٥٨ - ٥٦١).

وتناهبه النسَّاخ والمؤلفون، ونُسِبَ نِسَبًا شتى:

* فنُسِبَ إلى جعفر الصادق رضي الله عنه، وأنه أملاه على المفضَّل بن عمر الجعفي، وانفرد الشيعة بهذه النسبة، وأقدم من نسب الكتاب منهم: النجاشي (ت: ٤٥٠) في رجاله (١١١٢)، وسماه: كتاب الفكر والحث على الاعتبار، ثم ابن طاووس علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني أبو القاسم (ت: ٦٦٤) في كتابيه: «كشف المحجة» (ص: ٩) و «الأمان من أخطار الأسفار والأزمان» (ص: ٩١)، وسماه في الأول: كتاب المفضل بن عمر الذي أملاه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق الله

جل جلاله من الآثار، وسماه في الثاني: معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي وإظهار أسراره. وأثنىٰ عليه كثيرًا.

ومن البيِّن أنه لم يكن له اسمٌ علَمي عندهم، ولذا اختلفت عباراتهم عند ذكره. وانظر: «الذريعة» (٤/ ٤٨٢، ٦/ ٤٩، ١٣/ ١٥٤، ١٦/ ٣٠٠، ١٨/ ١٥٢).

وأدرجه المجلسي (ت: ١١١١) بتمامه في «بحار الأنوار» (٣/ ٥٧ - ١٥١)، وفرَّقه في مواضع كثيرة من كتابه وعلَّق عليه وشرح ألفاظه، وشرحه غير واحد منهم.

واشتهر عند متأخريهم باسم «توحيد المفضَّل»، وبه طبع قديمًا في إيران والهند، وحديثًا في مؤسسة الوفاء ببيروت (الطبعة الثانية: ١٤٠٦) وهي التي اعتمدت، ونسخه الخطية في الأزهرية وبرنستون ومشهد وغيرها. انظر: «تاريخ الأدب العربي» (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، و«تاريخ التراث العربي» (١/ ٢٧٠، ٢٧٩).

والمفضَّل غالٍ مضطرب الرواية فاسد المذهب عند متقدمي مؤرخي الشيعة، مقبولٌ عند متأخريهم، كما قال المامقاني في «تنقيح المقال» (٣/ ٢٤٠): إن ما كان يعدُّ غلوًّا عند قدماء الشيعة تعدُّه الشيعةُ الآن من ضروريات مذهب التشيع !!. وقد وُضِعَ عليه وزيد شيءٌ كثير باعتراف محققيهم. وانظر لمصادر ترجمته: «الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق» (٣/ ٢٩١). وأهمها وأقدمها: «اختيار معرفة الرجال» للطوسي (٢/ ٦١٢)، و«رجال النجاشي» (١١١٢).

ودلائل الوضع على هذه النسبة لائحةٌ ظاهرة، وما هو من طريقة جعفر الصادق وأهل عصره بسبيل، وتحامق القوم فجعلوا في أوله قصة ركيكة لسبب إملائه، وألحقوا بآخره مادة رافضية تباين الكتاب روحًا وأسلوبًا، وبنى معاصروهم عليه علالي وقصورًا.

وقد عُرِض الكتاب على الشيخ محمد بن إبراهيم سنة ١٣٧٧، فأجاب بأن في نسبته إلى جعفر الصادق شكًّا، وأن في آخره غلوًّا في أهل البيت، وما فيه من الحق فكتبُ المحققين من الأئمة المقتدىٰ بهم كابن القيم وغيره تغني عنه. «الفتاوىٰ والرسائل» (١٣/ ١٢٤).

* ونسب إلى أبي حامد الغزالي، مع إضافات قليلة، وطبع طبعات عديدة بعنوانات

يستوعبه في الفصول التي عقدها للتفكر في عجائب الخلق (ص: ٥٨٦ – ٨٠٦)، وله بين تضاعيفها تعليقاتٌ واستطرادات.

* ابن قتيبة (ت: ٢٧٦):

مختلفة، منها: «الحكمة في مخلوقات الله»، و «أسرار الحكمة في المخلوقات»، وأورده الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه «مؤلفات الغزالي» (٢٥٧) في القسم المشكوك في نسبته، ولم يبين سبب الشك. وقد ذكر السبكي في «الطبقات» (٦/ ٢٢٧)، والزبيدي في «الإتحاف» (١/ ٤٢) وغيرهما من تصانيف أبي حامد: «عجائب صنع الله»، فهل أرادوا هذا؟ وهل يحتمل أن تصح نسبته إليه ويكون قد أغار فيه على كتاب الجاحظ؟

* ونسب إلى جبريل بن نوح الأنباري، وهي نسبةٌ مشكلة، ففي مقدمة النُّسخ المنسوبة للجاحظ: «وقد أَلَّف مثل كتابنا هذا جماعةٌ من الحكماء المتقدمين، فما أوضحوا معانيه، ولا بينوا المشكل منه، فمنهم: جبريل بن نوح الأنباري؛ لأنه صدَّر كتابه بغير خطبة ولا مقدمة، ورتبه ترتيب الفلاسفة، وصدَّره بكلام منغلق، ونظمه نظمًا غير متسق...». ولا ريب أن النسخة التي وقف عليها ابن القيم كانت منسوبة إليه، فقد قال (ص: ٦٣٢): «قرأت بخط الفاضل جبريل بن نوح الأنباري...»، ثم نقل نصًّا منه. ولم أجد لجبريل هذا ترجمة. وفي خزانة أيا صوفيا (٤٨٣٦) نسخة من الكتاب منسوبة إليه، وفيها أنه صنفه أيام المتوكل، انظر: «تاريخ الأدب العربي» (٣/ ١٢٨). فهل هي بخط جبريل؟ وهل هو صاحب الكتاب الأصلي والجاحظ أو غيره ناقلون عنه؟

* وللحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣) كتاب في هذا الباب بعنوان: «التفكر والاعتبار»، ذكره النديم في «الفهرست» (٢٣٦)، وأبدىٰ السندوبي في «أدب الجاحظ» (١٥٣) احتمال أن يكون هو أصل كتابنا هذا. ولم يعثر عليه بعد.

وأيًّا ما كان، فليس من غرضنا ههنا تحرير نسبة الكتاب، وحسبنا أنه مصدرٌ متقدمٌ معروفٌ قبل زمن ابن القيم اعتمد عليه وأفاد منه.

ونقل من كتابه «**عيون الأخبار**» (ص: ٤٧٧-٤٨٣).

* أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠):

ونقل من كتابه «**تهذيب الآثار**» (ص: ١٤٨٦، ١٤٨٨، ١٥٣٧ - ١٥٣٩).

* أبو بكر ابن دريد (ت: ٣٢١):

ونقل من كتابه «**الاشتقاق**» (ص: ١٥٢١).

* القفال الشاشي (ت: ٣٦٥):

ونقل من كتابه «**محاسن الشريعة**» (ص: ٨٦٠)، وذكره (ص: ٩٦٤) وأثنىٰ عليه.

* الشريف المرتضىٰ (ت: ٤٣٦):

ونقل من رسالته في **الرد على المنجمين** (ص: ١١٩١)، ولعله نقل عنها بواسطة.

* أبو الحسين القشيري (ت: ٤٦٥):

ونقل من كتابه «**الرسالة القشيرية**» (ص: ٤٣٥ - ٤٣٨، ٤٥٤).

* الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢):

ونقل من **تفسيره** (ص: ٢٢).

* أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥):

ونقل من كتبه:

- «**إحياء علوم الدين**»، فانتفع بكتاب العلم عند البحث في وجوه فضل

العلم، مع تعليقاتٍ طوال ونقول من مصادر أخرىٰ، واستوعب كتاب التفكر عند الكلام في التفكر وفضله و مجاريه وعجائب خلق الإنسان وغيره (ص: ٥١٥ – ٥٨٣)[1].

- «**المستصفىٰ**» (ص: ٩٧٤ – ٩٧٨، ٩٧٩ – ٩٨٢).

- «**تهافت الفلاسفة**» (ص: ١٤١٤، ١٤١٦، ١٤١٨).

* الزمخشري (ت: ٥٣٨).

ونقل من كتابه «**الكشاف**» (ص: ٤٤).

* الشهرستاني (ت: ٥٤٨):

ونقل من كتابه «**نهاية الأقدام**» (ص: ٩٧٢ – ٩٧٤، ٩٧٨، ٩٨٣ – ٩٨٨، ٩٩٠، ٩٩١).

* ابن الجوزي (ت: ٥٩٧):

ونقل من كتابيه:

- «**المدهش**» (ص: ٨٣٠).

- «**زاد المسير**» (ص: ١٣٦٠).

* فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦):

ونقل من كتابه «**السر المكتوم**» (ص: ١١٧٩، ١٢٦٩، ١٢٨٢، وغيرها)،

---

(١) وأتىٰ الزبيدي في شرحه، فنقل كثيرًا عن المصنف دون تصريح ! وصرَّح به في بعض المواضع.

وأشار إلى تصنيف الرازي له (ص: ١٣٦٥).

* العز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠):

ونقل من كتابه «**قواعد الأحكام**» (ص: ٩٠٠).

* أبو العباس ابن تيمية (ت: ٧٢٨):

ونقل من كتبه:

- «**الجواب الصحيح**» (ص: ١١٥٧).

- «**شرح حديث أبي ذر**» (ص: ١١٣٨).

- **فتيا في الجنة التي أسكنها آدم** (ص: ٧٧).

ومن المواضع التي لا أرتاب في أنها منقولةٌ عن مصدرٍ آخر، لكن لم أهتد إليه: سردُ الحوادث التي ظهر فيها كذبُ المنجمين، فإنها من جنس نثر العماد الكاتب والقاضي الفاضل وأضرابهما.

ولا ريب أن التصريح بالعزو عند النقل مِن شُكر العلم، وهو المتعيِّن، وخلافُه ليس عُرفًا مقبولًا بحال، بل ما زال أهل العلم ـ ومنهم المصنف في مواضع من كتبه ـ ينصُّون على فضل إضافة الفائدة لقائلها ونسبتها إلى صاحبها، ويتمثَّلونه في كتبهم، وينكرون على من حاد عن محجَّته، فلعل له عذرًا في ترك الإفصاح عن النقل في هذه المواضع.



الثناء علىٰ الكتاب

أثنىٰ على الكتاب غيرُ واحدٍ من أهل العلم ، وهو كما قالوا، وسأسوق بعض عباراتهم ثم أتبعها بعباراتٍ أخرىٰ للمصنف.

قال صديق حسن خان (ت: ١٣٠٧): «وهو كتابٌ نفيسٌ عزيز المقاصد، منَّ الله تعالى به عليَّ وأحسن إلي»[١].

وقال أيضًا: «وهو كتابٌ لا يوجد نظيرُه في الإسلام»[٢].

وكتب نعمان الآلوسي (ت: ١٣١٧) على ظهر نسخته من الكتاب، وقد أوقفها علىٰ ذريته: «وهو كتابٌ جليل، ليس له في بابه مثيل».

وأثنىٰ المصنف علىٰ كتابه، فقال في «مدارج السالكين» (١/ ٩١): «وهو كتابٌ بديعٌ في معناه».

وأثنىٰ في الكتاب علىٰ بعض مباحثه[٣]، ومن ذلك قوله: «وحسبك بهذا الفصل وعظيم منفعته من هذا الكتاب».

وقوله: «فتدبر هذا الفصل، فإنه من الكنوز في هذا الكتاب، وهو حقيقٌ بأن تثنىٰ عليه الخناصر».

---

(١) «أبجد العلوم» (١/ ٩٧).

(٢) «يقظة أولي الاعتبار» (٢٢٤).

(٣) (ص: ٨٧، ١٢٧، ٢٨٥، ٧٢٧، ٧٨٣، ٧٩٨، ٩٥٢، ٩٥٧، ١١٣٥، ١١٣٩، ١١٤٥، ١٦٠١، ١٦٠٢).

وقوله: «فهذه مجامع طرق العالم في هذا المقام ألقيت إليك مختصرةً بذكر قواعدها وأدلتها، وترجيح الصواب منها، وإبطال الباطل، ولعلك لا تجد هذا التفصيل والكلام علىٰ هذه المذاهب وأصولها في كتابٍ من كتب القوم».

ومن ذلك ما وقع في خاتمة الكتاب في الأصول الخطية (د، ق، ت، ص)، وهي أصولٌ عتيقةٌ بعضها منقولٌ من نسخة المصنف وبعضها مقابلٌ عليها، ونظم الكلام يشبه أسلوب ابن القيم، ونصها: «نجز الكتاب المسمىٰ بمفتاح دار السعادة، وهو كتابٌ نفيس، لا يملُّه الجليس، وفيه من بدائع الفوائد وفرائد القلائد ما لا يوجد ذلك في سواه، وفيه من البحوث ما يستقصي كلَّ علم إلىٰ منتهاه، واسمه مطابقٌ لمسمَّاه، ولفظه موافقٌ لمعناه؛ فإن فيه من الإفادة ما يحدو إلىٰ دار السعادة»[1].



(١) انظر لتوجيه ثناء المصنف علىٰ كتبه وإشادته بتحريراته ومباحثه مقدمة تحقيق أخي الشيخ علي العمران لـ «بدائع الفوائد» (٣٢، ٣٣).

وصف الأصول الخطية

تحتفظ خزائنُ المخطوطات ودور الكتب - فيما تيسر الوقوف عليه - بثلاثة عشر أصلًا خطيًّا لكتاب «مفتاح دار السعادة»، انتخبتُ منها خمسةً هي أصحُّها وأعلاها، واستأنستُ بسادسٍ نُسِخ سنة ٧٨٦، بالإضافة لأصلٍ من القرن التاسع لأحد مختصرات الكتاب، وسآتي علىٰ وصف معتمدي منها، ثم أشير لباقي الأصول، وما نُسِبَ في بعض الفهارس ضِلَّة.

*** أما الأصول المعتمدة، فهي:**

١ - نسخة مكتبة داماد إبراهيم باشا (د):

وهي نسخة تامةٌ نفيسة، كتبها الإمام الحافظ إسماعيل بن محمد بن بَرْدِس البعلي[1] سنة ٧٦٦، بعد وفاة المصنف بخمس عشرة سنة، بخطه المضبوط المجوَّد.

وأصلها محفوظٌ بمكتبة داماد إبراهيم باشا، ضمن المكتبة السليمانية بتركيا، برقم (٤١٣).

---

(١) أبو الفداء، عماد الدين، ولد سنة ٧٢٠، وسمع من طائفة، وعني بالحديث، ورحل في طلبه إلى دمشق، وقرأ بنفسه، وكتب الكثير، نظم «النهاية في غريب الحديث» و«طبقات الحفاظ» للذهبي، وغيرها، وتخرَّج به جماعة، وكان أحد الحفاظ المكثرين المصنفين، حسن الخلق، كثير الديانة، توفي في العشر الأواخر من شوال سنة ٧٨٤. انظر: «الرد الوافر» (١٦١)، و«السحب الوابلة» (١/ ٢٨٧) وفي حاشيته مصادر ترجمته.

وعدد أوراقها ٣٢٥ ورقة، في الصفحة ٢٣ سطرًا، وفي السطر نحو من ١٧ كلمة.

وقد لقيت هذه النسخة ضروبًا من العناية، فأول ذلك ضبطُ ابن بردسٍ نصَّها بالشكل، وعنايته بعلامات الإهمال، فيضع فوق الحرف المهمل علامةً كقلامة الظفر المضجعة، لا يكاد يخلُّ بذلك، ثم مقابلته لها على الأصل وإن لم ينص على ذلك، لكن التصحيحات المثبتة في طرر النسخة المختومة بـ «صح» (ق ٣/ ب، ٤/ أ، ٦/ أ، ٨/ أ، ١٠/ أ، ١٢/ ب، ١٤/ أ، ١٧/ ب،...)، واللحق واستدراك السقط (ق ٢/ ب، ٣/ ب، ٥/ أ، ١٠/ أ،...)، ولا تكاد تخلو منهما ورقة= يدلَّان على المقابلة.

وما طغى فيه القلمُ أو الحبر أعاد كتابته في الطرة مجودًا، وفوقه كلمة «بيان»، وربما ختمه بـ «صح» (ق ٣٠/ ب، ٣٩/ أ، ٥١/ ب، ٧٥/ أ، ٨٠/ ب،...).

ويميِّز الفصول ونحوها، فيكتبها بخطٍّ كبير محبَّر.

وختم النسخة بقوله: «نجز الكتاب المسمى بمفتاح دار السعادة، وهو كتابٌ نفيس، لا يملُّه الجليس، وفيه من بدائع الفوائد وفرائد القلائد ما لا يوجد ذلك في سواه، وفيه من البحوث ما يستقصي كلَّ علم إلى منتهاه، واسمه مطابقٌ لمسمَّاه، ولفظه موافقٌ لمعناه؛ فإن فيه من الإفادة ما يحدو إلى دار السعادة. وذلك على يد أفقر خلق الله إليه، المتوكل في جميع أحواله عليه، والمعترف بالخطأ والزلل، والمسيء في القول والعمل: إسماعيل بن محمد بن بردس، عفا الله عنه، وكان تمام ذلك في التاسع عشر من شهر شعبان المكرم عام ستة وستين وسبع مئة من الهجرة النبوية، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

ولم يذكر الأصل الذي نقل عنه، ولا يبعد أن يكون أصل المصنف، لقرب العهد والدار.

ولعسر خط المصنف وتعليقه وتركه الإعجام إذا أسرع في الكتابة، كما تراه فيما وصلنا بخطه من مسودة كتابه «طريق الهجرتين»، اشتبهت كثيرٌ من المواضع علىٰ نسَّاخ الكتاب، فرسموها رسمًا كما رأوها في الأصل، وأبقوها محتملةً لأكثر من قراءة، وأمثلهم طريقةً في ذلك ابنُ بردس، وفي مواضع ليست بالقليلة اجتهدوا في القراءة فكتبوها محرفةً عن جادة الصواب.

ولذا وجدنا ابن بردس يبدي في مواضع كثيرة من الطرر احتمالاتٍ أخرىٰ للقراءة، مبدوءة بـ «لعله»، كما في (ق ٢١/ أ، ٣٧/ أ، ٤٣/ ب، ٧٣/ أ، ٨٦/ أ،...).

وفي مراتٍ قليلة (ق ٧٥/ ب، ٧٨/ ب، ١٩٥/ ب) رأيته يشير إلىٰ قراءة نسخة أخرىٰ، ويرمز لها بـ «خ».

وربما نقل تعليقًا من طرة الأصل، فيما أقدِّر، كما في (ق ١٢٤/ أ).

وجاء بعده عثمان بن علي بن حميد، ولم أعثر علىٰ ترجمته، فقرأ النسخة بقلعة بعلبك، بلد ابن بردس، وقابلها (أو ثلثها الأخير علىٰ أقل تقدير) علىٰ أصلٍ آخر، واستدرك بعض ما سقط منها وأثبته في الطرر بخطٍّ مهمل من النقط، وأبدىٰ احتمالاتٍ أخرىٰ للقراءة، وصدَّرها كسلفه بـ «لعله».

وقد انتفعتُ بهذه القراءات في تحقيق نص الكتاب، وأثبتُّ منها في الحواشي ما رأيته محتملًا للصواب.

وفي النسخة بياضٌ يسيرٌ في موضعين (ق ٣/ ب، ٣٢٣/ أ).

ومن طريقة ابن بردس التي رأيت: تسهيل الهمز في غالب أمره، وتحقيقها أحيانًا، وكذا الأصلان (ق) و(ت)، والأشبه أن المصنف لم يكن مطردًا في التسهيل أو التحقيق وإن كان الأول هو الأغلب عليه، ولذا وجدنا الأصول تتفق علىٰ أحدهما حينًا وتختلف حينًا آخر.

ومن طريف ما وقع من ذلك كلمة «الجزئية»، فإن المصنف يرسمها بالتسهيل: «الجزوية»، وكثيرٌ من المتقدمين يرسمها كذلك، فجوَّد رسمها ابن بردس في نسخته، ولم يفطن لها نسَّاخ الأصول الأخرىٰ فرسموها رسمًا مشتبهًا، وتحرفت عند الناشرين علىٰ ألوان: «الحرورية» و«الحزورية» و«الحرونة» !

ومن ذلك: رسم «الأسئلة»: «الأسولة». إلىٰ آخره.

ومن طريقته أيضًا: كتابة الأبيات مفردةً في وسط السطر غير متصلةٍ بما يليها، ويختم أحيانًا البيت بدائرة، وكثيرٌ من النساخ يخلُّ بذلك.

وربما فاته البيتُ بعد البيت مما يدرجه المصنف في مثاني كلامه، فلم يصنع بها صنيعه ذاك، وكذا باقي الأصول، وكُتبت في المطبوعات نثرًا[1].

---

(١) قال العلَّامة عبد القادر بن بدران في «المدخل» (٤٨٤) وهو يذكر ما يلزم المتفقه معرفتُه: «وقد يذكر الفقهاء كثيرًا من الشروط والواجبات... منظومةً،... فإذا كان المريدُ لحفظها جاهلاً بفنَّي العروض والقوافي حَفِظها مختلَّة الوزن غير مستقيمة، **وربما كان بحيث لا يفرِّق بين المنظوم والمنثور، ولاسيما إذا كان الناسخ جاهلاً فكتب النظم ككتابته للنثر، فهناك يفُوت المقصود، ويُعَدُّ ذلك من الجهل**».

وقد حظيت النسخة بتعليقات أكثر من قارئ.

فأولهم قارئٌ لم يذكر اسمه، له تعليقاتٌ منتشرةٌ في صفحات النسخة بقلم فارسيٍّ دقيق جدًّا، في الطُّرر وبين السطور. وهي علىٰ أضرب:

فمنها: شرحٌ لبعض الغريب، كما في (ق ٣٦/ ب) يشرح لفظة «صفد»، قال: «الصفَد، بالتحريك، العطاء. جوهري».

ومنها: توضيحٌ للضمائر ونحوها، كما في (ق ٦٨/ ب) علَّق علىٰ قول المصنف: «وإذا فقدهما» بقوله: «أي: العلم والعقل».

ومنها: نقولٌ من كتب التفسير والحديث وغيرها، كما في (ق ٧٢/ أ، ٩٥/ ب، ١١٥/ ب، ١٢٥/ ب، ١٢٧/ أ،...).

ففي (ق ٣٨/ ب) علَّق علىٰ قول المصنف عن النجوم: «إنها رجومٌ للشياطين»، فنقل عن الضحاك أن الكواكب التي تُرىٰ لا يُرجم بها، وإنما يُرجم بالتي لا يراها الناس، ثم نقل عن أبي علي: أن الكواكب أنفسها لا يُرجم بها؛ لأنها ثابتة، وإنما ينفصل عنها شهابٌ يحرق.... وهكذا في (ق ٤٠/ ب) نقلٌ طويلٌ من كتاب «آكام المرجان» للشبلي.

وهو يكتبُ بخطِّه الفارسي الدقيق بمدادٍ أحمر عناوين جانبية مختصرة لبعض الفوائد والمسائل (ق ٥/ ب، ٢٧/ ب، ٣٨/ ب، ٤٥/ ب، ٤٨/ ب، ٥١/ ب، ٦٥/ أ،...).

ويضع خطًّا بالقلم نفسه فوق بدايات المقاطع والوجوه ونحوها، وفي بعض المواضع يضع فواصل بين الجمل، وربما وضع في آخر البيت نقاطًا ثلاث كالأثافي.

وعلَّق قارئ **ثانٍ** في طرة (ق ٤٤/ أ) حين نقل المصنف سنة وفاة سعيد بن المسيب حاشيةً في الأقوال المذكورة في سنة وفاته.

وعلَّق **ثالثٌ** في (ق ١٤١/ أ) بما شاهده من حال الخفاش ليلًا، وأكله الثمار. وهو تعليقٌ طريف، وقد نقلته في موضعه.

وكتب العنوان علىٰ لوحة الكتاب: «كتاب مفتاح دار السعادة، تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام بركة الأنام قدوة السلف طراز الخلف أحد أركان التفسير البحر الغزير، أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح الزاهد أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه وجعل الجنة مثواه، آمين».

وتحته كتب أحدهم: «الحمد لله وحده، رحم الله مصنفه، لقد أجاد، فجزاه الله عن الإسلام خيرًا، لقد صنف كتابًا ما سبقه إليه أحدٌ قبله، ولا يدركه أحدٌ بعده».

وأسفل منه عن يساره كتب: «مرحوم طاش كوبري زاده». وتحته كلمة لم أقرأها. ولا أدري أهذا خطُّه أم لا؟

وعن يمينه قيد مطالعةٍ للكتاب بخطٍّ مزخرف سنة ٨٨٠.

وعن يساره أسفل الصفحة قيدٌ آخر، أوله: «نظر فيه داعيًا لمالكه ومثنيًا علىٰ مصنفه...».

وفوقه قيد مطالعةٍ آخر.

وفي يسار الصفحة في أعلاها ثلاثة تملُّكاتٍ للنسخة.

وفي أسفلها من جهة اليمين ختمٌ قديمٌ لم أستطع قراءة نصه.

أما ختم مكتبة داماد إبراهيم باشا، ففي مواضع من طرر النسخة (ق: ٣/أ، ١١/ أ، ٢١/ أ، ٣١/ أ، ٤١/ أ،...)، وفي (ق ١٥٩/ أ، ٢٥٧/ أ) ختمٌ آخر للمكتبة أكبر حجمًا، وظهر لي من كلماته: «... الصدر الأفخم إبراهيم باشا يسر الله له... الوزير لحضرة السلطان الغازي أحمد خان خلدت خلافته...».

أما خاتمة النسخة، فتحت خاتمة ابن بردس: «طالعه وانتخب منه إسماعيل الزرعي، عفا الله عنه وعن مالكه والمسلمين، آمين». وكتب في (ق ٢٨/ ب) قيد مطالعةٍ باسمه.

وتحته: «قرأه العبد الفقير إلىٰ رحمة ربه القدير: عثمان بن علي بن حميد عفا الله عنه، وكتب بتاريخ رابع عشر شهر صفر... في مقام الخليل إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام، بقلعة بعلبك المنصورة، وهو يسأل الله عز وجل ويتوسل بمحمد ﷺ(١) أن يأخذ حقه ممن ظلمه قريب غير بعيد، إنه علىٰ ما يشاء قدير، وهو نعم المولىٰ ونعم النصير».

ثم بعدها ثلاث صفحات كتب فيها دعاء الفرج والدعاء عند الكرب وعند الهم والحزن وغيرها.

وفي آخر الصفحة الثالثة قيد مطالعةٍ نصُّه: «طالع في هذا الكتاب المبارك العبد الفقير إلىٰ الله تعالىٰ محمد بن محمد بن محمد الحلبي عفا الله عنه وعن جميع المسلمين».

---

(١) ليس هذا التوسلُ بالمشروع في أصحِّ قولي العلماء.

٢- نسخة مكتبة الأوقاف العراقية (ق)[١]:

وهي نسخةٌ جليلةٌ تامة، كتبت سنة ٨٤١، بعد أن كتب المصنف كتابه بنحو مئة سنة، وقوبلت على نسخته التي بخطه، ثم طوفت في البلدان ليستقر بها النوىٰ في بلاد الرافدين، وتحتفظ بها مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (٥٩٩٤).

وناسخها هو أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل الصعيدي المكي الحنبلي، ولد بمكة قبل سنة ٨١٠، ونشأ بها، ثم نزل دمشق، وتفقه هناك وتزوج، ونظم الشعر، ومات بها وهو شابٌّ في الطاعون سنة ٨٤١، وهي السنة التي نسخ فيها الكتاب[٢].

وخطه نسخيٌّ واضح، يضبط أحيانًا بعض الكلمات، ويغلُظ خطُّه في مواضع ويدقُّ في أخرىٰ بحسب القلم الذي يكتب به.

تقع في ٢٥٠ ورقة، وفي الصفحة ٢٧ سطرًا، في السطر نحو ٢٠ كلمة.

وفي خاتمتها: «نجز الكتاب المسمىٰ بمفتاح دار السعادة، وهو كتابٌ نفيس، لا يملُّه الجليس، وفيه من بدائع الفوائد وفرائد القلائد ما لا يوجد ذلك في سواه، وفيه من البحوث ما يستقصي كلَّ علم إلىٰ منتهاه، واسمه مطابقٌ لمسمَّاه، ولفظه موافقٌ لمعناه؛ فإن فيه من الإفادة ما يحدو إلىٰ دار السعادة. وذلك علىٰ يد أفقر خلق الله إليه، المتوكل في جميع أحواله عليه،

---

(١) صوَّرها من العراق قبيل غزوه الأخ الكريم د. ماهر الفحل جزاه الله خيرًا.

(٢) ترجمته في «الضوء اللامع» (٢/ ٧١)، و«السحب الوابلة» (١/ ٢٢٠)، وفي حاشية الثاني مصادر أخرىٰ.

والمعترف بالخطأ والزلل، والمسيء في القول والعمل: أحمد بن محمد بالصعيديِّ يُعرَف، المكي، الحنبلي، عفا الله عنه، وكان تمام ذلك في الثاني والعشرين من شهر الله المحرَّم شهر رجب المكرَّم عام أحد وأربعين وثمان مئة من الهجرة النبوية، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وفي طرة الخاتمة بخطٍّ غير معجم: «بلغ مقابلة بحسب الطاقة، ولله الحمد والمنة». ثم تحته بخطٍّ أوضح معجم الحروف: «بلغ مقابلةً وتصحيحًا علىٰ نسخة بخط مؤلفه بحسب الجهد والطاقة».

والظاهر أن كليهما خط الناسخ، قابل النسخة أول مرة علىٰ أصلها الذي انتسخها منه، ثم وقف علىٰ نسخة المصنف فقابل الكتاب بها مرة أخرىٰ[1].

وآثار المقابلة باديةٌ علىٰ صفحات النسخة، فالتصحيحات المختومة بـ (صح)، واللحق واستدراك السقط، لا تكاد تخلو منها ورقة.

ومن ذلك: أنه في (ق: ٣/ ب) وجد بياضًا في موضعٍ من الأصل الذي ينقل منه، فقدَّر أنه بضع كلمات، فترك له فراغًا بقدر ذلك، وكتب في الطرة: «بياض»، ثم حين قابل نسخته بنسخة المصنف إذا الساقط أكثر مما قدَّر، فاستدركه في موضعه بخطٍّ دقيق وأكمل الباقي في الطرة.

---

(١) وربما تكون المقابلة من غيره، إذا نظرنا إلى أنه انتهى منه في آخر رجب، ومات في رمضان أو ذي القعدة؛ لأن الطاعون بدأ في الشام في شهر رجب واشتد في رمضان، فمقابلته مرة، ثم يحصل على نسخة المؤلف ويقابله أخرى، كل ذلك في نحو شهرين أو ثلاثة قد يُستبعَد، والله أعلم. (علي العمران).

وكان يعتني بكتابة بلاغات المقابلة في الطرر، كما في (ق: ٤/ أ، ٦/ ب، ١٤/ ب، ١٥/ ب، ٢٥/ أ، ٢٨/ أ، ٢٩/ أ، ٣٦/ أ)، ثم انقطع عن كتابتها حتىٰ (ق: ١٦٧/ ب)، فهل قابل ما بين ذلك في جلسة واحدة؟، ثم لم يكتبها بعد إلا مرتين (ق: ٢٠٠/ ب، ٢٤١).

ومن مظاهر عنايته: أنه يعيد ما لم يجوِّد كتابته في المتن بحذائه في الطرة، وفوقه كلمة «بيان»، كما في (ق: ٤/ ب، ١٨/ ب، ٣١/ أ، ٣٤/ ب، ٣٧/ ب) وهكذا إلىٰ آخر الكتاب.

وما يخطئ فيه يضرب عليه ضربًا رفيقًا.

ويجتهد في رسم الكلمات المشكلة كما وقعت في الأصل الذي ينقل عنه، فلا تتحرر قراءتها، ويبقىٰ الرسم محتملًا لقراءات أخرىٰ، كما صنع ابن بردس، إلا أن الثاني أدقُّ في الرسم وأكثر اجتهادًا.

ويجتهد أحيانًا فيقرؤها علىٰ خلاف الصواب.

وانتقل نظره في مواضع قليلة، فسقطت عليه بعض الجمل، وفاته استدراكها في المقابلة.

ويستشكل أحيانًا بعض الكلمات، فيكتبها في الطرة بحذاء موضعها، وفوقها: «كذا».

ومن عوائده: أنه يضع خطًّا فوق بدايات الفصول ونحوها مما يريد تنبيه القارئ إليه[1]، كما أنه يكتب تلك الكلمات بخط أغلظ، ويكتب بخطٍّ دقيقٍ

---

(١) وضع الخط فوق ما يراد تنبيه القارئ إليه هو ما جرىٰ عليه عمل أهل العلم ونساخ الكتب والمصاحف، أما وضعها تحته فمن محدثات المستشرقين.

في الطرة: «فصل» أمام مواضعها في الكتاب.

وربما نبَّه أحيانًا علىٰ بعض المواضع المهمة، كما في فعل في (ق: ٢٢/ ب) حين كتب في الطرة بحذاء ذكر المصنف لاسم الكتاب: «قف علىٰ تسمية الكتاب».

ومن عنايته: كتابته للكلمة الأولىٰ من الورقة في ذيل الورقة التي قبلها تحت آخر سطر فيها، لئلَّا يضطرب ترتيب الأوراق، وهو ما يسميه النساخ بالتعقيبات[1].

ويشبه أن تكون هذه النسخة منقولة من نسخة ابن بردس (د)، ثم قوبلت علىٰ نسخة المصنف، فانظر كيف كتب الناسخ الخاتمة الأخيرة التي كتبها ابن بردس لنسخة (د) بحروفها، وإنما وضع اسمه موضع اسمه وتاريخ نسخه موضع تاريخه، ولم يقع ذلك في نسختي (ت) و(ي)، أما الخاتمة التي فيها الثناء علىٰ الكتاب فالأقرب أنها من أصل المصنف كما تقدم، ثم تأمل اشتراكهما في التصحيح والاستدراك لكثيرٍ من اللحق في مواضعه، وتأمل تأثر ناسخ (ق) بقراءات ابن بردس لكثير من الكلمات المشكلة، بخلاف ناسخ (ت)، وأضف إلىٰ ذلك تقدم تاريخ نسخة (د)، وتقارب داريهما.

وعلىٰ النسخة تملكاتٌ عديدة:

فأقدمها علىٰ الصفحة الأولىٰ تحت عنوان الكتاب: «في نوبة الفقير أحمد خورسجي (كذا) أرنوط (لعلها: أرنؤوط) سنة ١١٩١».

---

(١) انظر: «المخطوط العربي» لعبد الستار الحلوجي (١٦٧).

وتحته تملكٌ آخر لم يذكر تاريخه: «في نوبة مالكه السيد الحاج حافظ محمد صادق... (كلمة لم أقرأها)، بثغر دمياط، عفي عنه وغفر له ولوالديه».

وعلىٰ يسار الصفحة نصٌّ مضروبٌ عليه ضربًا شديدًا، لعله رهنٌ ضرب عليه بعد أن افتكَّه صاحبه، كما يقع أحيانًا.

ثم رحلت النسخة إلىٰ بغداد العراق، لتدخل بيت الآلوسيين[1]، فنرىٰ أول دخولها سنة ١٢٦٠ في التملك التالي أسفل الصفحة الأولىٰ: «آل إلىٰ نوبة أفقر العباد إليه عز شأنه: آلوسي[2] زاده شهاب الدين السيد محمود المفتي ببغداد[3] (ثلاث كلمات لم أتبينهن) عفي عنهما، وذلك بالشِّرىٰ الشرعي في ٢٧ جمادىٰ سنة ١٢٦٠». وتحته خاتمه: «السيد محمود».

ثم انتقلت بالإرث إلىٰ ابنه نعمان[4]، فكتب بجوار تملك أبيه، بعد ٢٢

---

(١) انظر لهذا البيت: «تاريخ الأسر العلمية في بغداد» للراوي (١٨١ ـ ٢٣٦).

(٢) كذا مضبوطة مجودة في الأصل بمَدَّة على الألف في جميع مواضع ذكرها في هذه التقييدات. وهو المشهور المعروف. انظر: «الأعلام» (١/ ٢٥)، و«محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية» لمحمد بهجة الأثري.

(٣) وهو الآلوسي الكبير، شهاب الدين محمود بن عبد الله، العلامة المفسِّر، تقلد الإفتاء ببغداد سنة ١٢٤٨، ثم عزل، (ت: ١٢٧٠). انظر: «الأعلام» (٧/ ١٧٦)، وفي حاشيته مصادر ترجمته. وقد أفاد من «المفتاح» في كتبه، كما مر في مبحث نسبة الكتاب.

(٤) أبو البركات، خير الدين، باحث فقيه، من أعلام هذه الأسرة (ت: ١٣١٧). انظر ترجمته في «الأعلام» (٨/ ٤٢). وأشهر كتبه: «جلاء العينين في محاكمة

سنة: «ثم وصل إلىٰ ولده الفقير إليه عزَّ شأنه السيد نعمان خير الدين غفر لهما، سنة ١٢٨٢». وتحته خاتمه: «خير الدين السيد نعمان».

وكان نعمان قد كتب تملكه للنسخة في آخرها بعد وفاة والده بسنةٍ واحدة: «للفقير إليه سبحانه وتعالىٰ السيد نعمان بن المبرور[1] السيد محمود أفندي المفتي ببغداد، ابن المرحوم السيد عبد الله أفندي مدرس الأعظمية، الشهير بآلوسي زاده، غُفِر لهم، سنة ١٢٧١». ثم ختم المكتبة النعمانية.

ثم أوقفها نعمان علىٰ ذريته، فكتب علىٰ ظهر غلافها الخارجي: «هذا الكتاب موقوفٌ علىٰ ذريتي حسب الكتب الموقوفة الحاكم بصحة وقفها حاكم من قضات[2] المسلمين، المختومة بختمه، وهو كتابٌ جليل ليس له في بابه مثيل. الفقير السيد نعمان غفر له».

وختم المكتبة النعمانية مبثوثٌ في مواضع من النسخة، علىٰ صفحة العنوان، و(ق: ١١٦/ ب، ١٢٢/ ب، ١٥١/ ب)، وفي خاتمتها. ونصُّه: «وقف المكتبة النعمانية في المدرسة المرجانية ببغداد»[3].

الأحمدين» ابن تيمية وابن حجر الهيتمي، وقد أفاد من «المفتاح» في كتبه، كما سلف.

(١) ووصفه بذلك في إجازته لولده (٢٨).

(٢) كذا كتب التاء مفتوحة.

(٣) وتقع المدرسة عند مدخل سوق الشورجة بشارع الرشيد ببغداد، بناها أمين الدين مرجان سنة ٧٥١، ودرَّس بها أبو الثناء الآلوسي ونعمان الآلوسي وغيرهما من آل الآلوسيين وسواهم، وأقيم موضعها اليوم جامع مرجان، وبقيت من آثارها بقية. وضمت المكتبة النعمانية إلىٰ مكتبة الأوقاف العامة ببغداد سنة ١٣٤٧.

وللآلوسي الكبير شهاب الدين تعليقٌ في (ق: ١١٥/ ب) بخطه الفارسي الأنيق، عن الجراد وأنه نثرة حوت، وقد نقلته في موضعه. كما كتب في الطرر بعض العناوين لمهم المسائل، كما في (ق: ١١٦/ ب، ١٥٢/ ب).

أما نعمان، فله تعليقاتٌ موجزة، أثبتنا المهمَّ منها في مواضعها، ومما لم نثبته لظهوره تعليقه علىٰ قول المصنف في (ق ١٤٤/ ب): «وهذا اختيار شيخنا» بقوله: «هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدِّس سره»، وأشباه هذا.

وكتب في طررها عناوين مختصرة للمباحث، وله عنايةٌ بما يتعلق بالشيعة، فمن ذلك كتب في (ق ٦٨/ أ) عنوانًا في الطرة: «في تكذيب من يقول باختفاء المهدي»، وفي (ق ٢٤٦/ أ) تعليقٌ عن تشاؤم الرافضة بالعطسة الواحدة، وقد أثبتناه في موضعه.

وهو يكتب كلمة «شعر» أحيانًا أمام ما يورده المصنف من الشعر، ويعيد كتابة «فصل» في الطرة حيث وردت بخطٍّ كبير محبَّر.

ولأحد القراء تعليقاتٌ علىٰ بعض المواضع، منها قوله عند فصل: حاجة الناس إلىٰ الشريعة (ق ١٣٧/ ب): «هذا ابتداء النصف الثاني من الكتاب»، وسيأتي التعليق علىٰ هذا في وصف النسخة (ح). ومنها تعريفه بالرازي والآمدي عند ذكر المصنف لهما في (ق ١٤٧/ ب). وله عناوين مختصرة لبعض المباحث (ق ١٥١/ أ، ١٥٧/ ب، ١٦٠/ أ، ١٦١/ أ).

ورسمت في أواخر النسخة (ق ٢٠٠/ ب، ٢٠٧/ ب، ٢٠٨/ ب، ٢١٥/ ب) نجمةٌ خماسية في طرر بعض المواضع، تنبيهًا، ولم يتبين لي

صاحبها، ويغلب علىٰ ظني حداثتها.

وكتب عنوان الكتاب في هذه النسخة علىٰ الصفحة الأولىٰ: «كتاب مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة». وتحته: «تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه. آمين». وفوق كلمة «دار السعادة» بالقلم نفسه: يعني دار الآخرة.

وفي وسط الصفحة كتب نعمان الآلوسي: «قال المؤلف عليه الرحمة في فصل التأمل في الفلك الدوار من كتابه هذا: والمقصود تنبيه القلب من رقدته بالإشارة إلىٰ شيء من بعض آيات الله، ولو ذهبنا نتتبع ذلك لنفد الزمان ولم نحط بتفصيل واحدة من آياته علىٰ التمام، ولكن ما لا يدرك جملة لا يترك جملة، وأحسن ما أنفقت فيه الأنفاس التفكر في آيات الله وعجائب صنعه، والانتقال منها إلىٰ تعلق القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته، فلذلك عقدنا هذه الكتاب علىٰ هذين الأصلين، إذ هما أفضل ما يكتسبه العبد في هذه الدار».

وعن نسخةٍ منقولةٍ من هذه النسخة، عليها علامة المقابلة بخط محمود شكري الآلوسي (ت: ١٣٤٢)[1]، ونسخةٍ أخرىٰ من تركيا، طُبِع الكتاب في مصر طبعته الأولىٰ سنة ١٣٢٣ بمطبعة السعادة.

٣- نسخة مكتبة أحمد الثالث (ت):

وهي نسخةٌ تامة، مكتوبة سنة ٨٨٩، بخطٍّ نسخيٍّ واضح قليل الضبط،

(١) وهي نسخة المكتبة القادرية الآتي ذكرها.

وتقع في ٣٠٩ أوراق، في الصفحة ٢٥ سطرًا، وفي السطر نحو ٢٠ كلمة.

وأصلها محفوظٌ بمكتبة أحمد الثالث، ضمن متحف طوبقبو سراي بتركيا، برقم (١/ ١٣٧٢. أ. ٥١٤١).

وناسخها: أحمد بن محمد المنذري، ولم أجد له ترجمة.

وفي نهايتها: «تم الكتاب المسمىٰ بمفتاح دار السعادة، وهو كتابٌ نفيس لا يمله الجليس (إلىٰ آخر النص الوارد في النسختين السابقتين)، علىٰ يد كاتبه أضعف عباد الله وأحوجهم إلىٰ عفوه ومغفرته: أحمد بن محمد المنذري[١] غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالتوبة والمغفرة...، بتاريخ الثالث من شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة تسع وثمانين وثمان مئة أحسن الله عاقبتها بمحمد وآله وصحبه وسلم[٢]، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وأزواجه الطيبين الطاهرين رضوان الله عليهم أجمعين».

وفي هذه النسخة صوابٌ كثير، وتحريفٌ غير قليل وسقط، وأتت علىٰ الصواب في مواضع قليلة عزَّ فيها الصواب في سائر النسخ، وتفردت باستدراك بعض السقط في مواضع، وتقع للناسخ تحريفاتٌ طريفةٌ ينفردُ بها قيَّدتُ بعضها في الحواشي، ولا ريب أنها منسوخةٌ عن أصلٍ مختلف عن النسختين السالفتين (د) و(ق).

وفي طررها تصحيحاتٌ مختومة بـ (صح)، واستدراكٌ للسقط، بما يدلُّ

---

(١) كتبت في الأصل بنقطة واحدة، والناسخ يهمل النقط أحيانًا.

(٢) كذا في الأصل، وهو توسلٌ غير مشروع، وإضافة «وسلم» في آخر الجملة ذهولٌ طريف.

علىٰ مقابلتها وإن لم ينصَّ علىٰ المقابلة.

فمن مواضع التصحيح: (ق ٤/ أ، ٦/ ب، ٢١/ ب، ٢٨/ أ، ٣٣/ أ، ٣٤/ أ، ٤٢/ ب،...).

ومن مواضع اللحق واستدراك السقط: (ق ٦/ أ، ١٢/ أ، ١٩/ أ، ٤٥/ ب، ٤٩/ ب،...).

ومن شأن الناسخ أنه يضرب علىٰ ما أخطأ فيه بخطٍّ واحد، فيظهر المضروب عليه بجلاء، وربما علَّق في الطرة بإبداء احتمالٍ آخر للقراءة، فيقول: «لعله كذا»، كما في (ق ٧٤/ أ، ١٧٤/ ب، ١٧٧/ ب)، ولعله من الأصل الذي ينقل عنه.

ويضبط أحيانًا بعض الكلمات علىٰ غير هدىٰ، فمن ذلك في (ق ٦/ أ): «وهو أنه أمَرَّ فيها بمعصية ربه»، كذا ضبط الفعل، وهو خطأ، وصوابه: «أُمِرَ» لما لم يسمَّ فاعله. وفي (ق ١٦/ أ): «كانوا بجبال المسرَّاة المشرفة...»، فلم يقنع بإضافة الميم حتىٰ شدَّد الراء !، وإنما هي «الشراة».

وهو يرسم بعض الكلمات علىٰ طريقة المتقدمين (سفين= سفيان).

وكعادة بعض النساخ يقحم كلمة «شعر» قبل ما يسوقه المصنف من الشعر.

ويميِّز الفصول والأوجه وأمثالها بخطٍّ أكبر، وربما وضع فوقها خطًّا أحيانًا، وهو يكتبها في معظم أحواله بالحمرة، فلذا لم تظهر جيدًا في التصوير في بعض المواضع.

وأقحمت ورقتان طيارتان في الكتاب من غيره، فذهبت ببعض النص

عند التصوير (ق ١٧٩/ أ، ب).

وكتب العنوان علىٰ لوحة الكتاب داخل مستطيل: «كتاب مفتاح دار السعادة للشيخ العالم العلامة الإمام الرباني والعالم... شمس الدين محمد أبي عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية».

وفي أعلىٰ الصفحة كتب مفهرس المكتبة: تصوف. وإلىٰ يسار المستطيل ختم المكتبة وتوقيع قيِّمها.

وليس علىٰ النسخة تملكاتٌ أو تقييدات.

٤- نسخة حائل (ح):

وهي نسخة متأخرة، وناقصة، تمثل نصف الكتاب تقريبًا، وتقع في ٢٠٧ أوراق، في الصفحة ٢٥ سطرًا، في السطر نحو ١٤ كلمة. بخط نسخي واضح.

وأصلها من مكتبة الشيخ علي بن يعقوب، وهي من محفوظات مكتبة المعهد العلمي بحائل، برقم (٤٥). وقد آلت أخيرًا إلى دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

وتاريخ نسخها: يوم الأربعاء لثلاث مضين من محرم سنة ١٣٢١.

وناسخها هو عبد العزيز بن عثمان بن ركبان.

ويبدو أنه نسخ الكتاب لغيره، فقد كتب في خاتمة النسخة بعد اسمه: «غفر الله ولوالديه ومشايخه ومن استكتبه وطالع فيه».

وقد قوبلت بنسخة أخرىٰ سوىٰ الأصل الذي انتُسِخَت منه، وآثار ذلك

ظاهرةٌ في استدراك السقط والتصحيحات المنتشرة علىٰ طررها المختومة بـ (صح)، وفي الإشارات إلىٰ قراءات النسخة الأخرىٰ التي رمز لها بـ (خ)، وفي بلاغات المقابلة كما في طرة (ق ٧٤/ أ).

وكتب في طرة خاتمتها: «بلغ مقابلة علىٰ أصله، فصحَّ، اللهم إلا ما زاغ عنه البصر أو طغىٰ القلم فيه».

والظاهر أن أصلها قد جالت فيه يد الإصلاح والتغيير والاقتراح في كثير من المواضع، وهو بلا ريب غير أصل النسخ (د، ق، ت)، ويشترك معها غالبًا في التحريف الناشئ عن اشتباه الرسم، ويزيد عليها تحريفًا وسقطًا.

وهذه النسخة تتفق كثيرًا مع النسخة النجدية (ن) في الخطأ والصواب، والغالب أنهما يرجعان إلىٰ أصل واحد.

وربما أبدىٰ الناسخ في بعض الأحايين احتمالًا لقراءة أخرىٰ في الطرة ويصدر ذلك بقوله: «لعله»، أصاب في بعضها، وأخطأ في أكثرها، ونبهت عليها في مواضعها.

وما لم يحرر كتابته في المتن وضع فوقه حرف (ن)، وأعاده في الحاشية محرَّرًا وفوقه كلمة: «بيان» أو حرف (ن).

وربما علق في طرة النسخة بنقلٍ متعلِّقٍ بالبحث، أو باستدراكٍ علىٰ المصنف، أو بالتنبيه علىٰ احتمال وقوع سقط، في مواضع قليلة، وقد أشرت إلىٰ ذلك في حواشي الكتاب.

وهو يكتب الفصول وبدايات المقاطع بحرف أغلظ ويميزها بخطٍّ فوقها. ونادرًا ما يضع عناوين في الطرر لمهم المسائل والأقوال.

وفي آخر النسخة: «تمَّ، ويتلوه إن شاء الله في الجزء الثاني: فصل حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية...».

فإن كان أراد بالجزء الثاني ما بقي من الكتاب فذاك، وهي تجزئةٌ حادثةٌ لم تقع في الأصول العتيقة، وإن كان توهم أن الباقي هو القسم الثاني الذي أشار إليه المصنف في المقدمة فقد علمتَ أنه ليس كذلك.

وكتب علىٰ الورقة الأولىٰ عنوان الكتاب علىٰ هيئة هرم مقلوب: «كتاب مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية».

وعلىٰ يساره: «رفع الله منزلته في غرف الجنان العلية، آمين يا رب العالمين».

وعلىٰ يمينه: «وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

٥- النسخة النجدية (ن):

وهي ناقصة كسابقتها، وتنتهي بنهايتها، إلا أنها أقدم منها نسخًا.

وأصلها من المكتبة العامة بشقراء، والآن بمكتبة الملك فهد بالرياض برقم (١٩٥/ ٨٦).

وتقع في ٢٦٠ ورقة، في الصفحة ١٨ سطرًا، وفي السطر نحو ١٢ كلمة. بخط نسخي مقروء.

وفي صدر صفحة العنوان: «الجزء الأول من كتاب مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر المعروف بقيم

الجوزية، رضي الله عنه وأرضاه وجعل الفردوس مثواه، آمين».

وحوالي ذلك كتب الناسخ: «وهذا الكتاب في ملك الفقير إلىٰ ربه، عبده وابن عبده، ومن لا غناء له عنه طرفة عين: حمد بن علي بن سلوم الغنامي غفر الله له ولوالديه (كذا قرأتها) منهم المسلمين (كذا !) وإخوتنا ومشايخنا وكل من عمل بالتوحيد وجاهد من أشرك بالله. كتبته بيدي الفانية، وأرجو من الله النجاة، إنه جواد كريم رؤوف رحيم وبالإجابة جدير، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم تسليمًا كثيرًا، سنة ١١٦١». كذا قرأت التاريخ، وفيه اشتباه.

وحوله كتب بعض أسامي مصنفات ابن القيم. ومنها: «مفتاح دار السعادة في جزئين»، وقد سلف القول في هذه التجزئة.

وفي يسار الصفحة نص وقفية لم يتضح اسم مُوقِفها.

والنسخة مقابلة، وعلىٰ طررها بلاغات المقابلة، وتصحيحاتٌ واستدراكاتٌ للسقط، وإشاراتٌ لقراءات نسخة أخرىٰ رمز لها بـ(خ).

وفي طرة الخاتمة: «بلغ مقابلة حسب الطاقة ٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٦».

وفي آخرها: «يتلوه إن شاء الله في الجزء الثاني: فصل حاجة الناس علىٰ الشريعة ضرورية...».

وهي أصح من النسخة (ح)، وإن كانت تتفق معها كثيرًا كما تقدم، والتحريف والسقط فيهما غير قليل.

٦- نسخة مكتبة أيا صوفيا (ي):

وهي نسخةٌ خزائنية، كتبت سنة ٧٨٦، في ٣٢٨ ورقة، بخطٍّ نسخيٍّ جميل، لكنه كثير التحريف.

وأصلها في مكتبة أيا صوفيا بتركيا، برقم (٢٠٨٥).

وأسفل صفحة العنوان: «قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظَّم...: السلطان بن السلطان الغازي محمود خان وقفًا صحيحًا شرعيًّا لمن طالع واسترشد،... حرَّره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين...».

ولم يذكر اسم ناسخها، وأشك في تاريخ النسخ المذكور في خاتمة النسخة، ولعله منقولٌ من الأصل الذي نقلت عنه.

وليس عليها ما يدل علىٰ مقابلتها بأصلها أو بغيره، سوىٰ تصحيحات متناثرة في طررها، ولعلها استدركت أثناء النسخ، أو لعلها كذلك في الأصل المنقول عنه.

ولذلك لم أثبت قراءاتها وفروقها في حواشي التحقيق، وعدتُ إليها في المواضع المشكلة وانقلبتُ وما تنديتُ منها بشيء.

٧- نسخة المختصر (ص):

واسم الكتاب، كما كتب علىٰ لوحة العنوان: «غاية المرام والإرادة المختار من مفتاح دار السعادة تأليف الإمام محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية رحمه الله تعالىٰ».

اختاره أحمد بن علوي بن حمزة الحنبلي (١)، سنة ٨١٨.

وقال في مقدمته: «قال العبد المفتقر إلىٰ رحمة ربه العلي أحمد بن علوي الحنبلي: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أطال الله في السعادة بقاءك، وكفاني الأسواء فيك، وجعلني منها فداءك، إني طالعتُ الكتاب المسمىٰ بمفتاح دار السعادة للبحر الغزير محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، جلبب الله ثراه برضوانه، وأسكنه فسيح جنانه، وهو كتابٌ نفيس لا يمله الجليس، وفيه من بدائع الفوائد وفرائد القلائد ما لا توجد في سواه، [و] من البحوث ما يستقصي كلَّ علم إلىٰ منتهاه، واسمه مطابقٌ لمسمَّاه، ولفظه مطابقٌ لمعناه.

فأحببت أن أجمع من فوائده، وألتقط من فرائده، فكتبت منه في هذه الأوراق ما عَذُبَ وراق، وسميته: غاية المرام والإرادة المختار من مفتاح دار السعادة».

وعمله اختيارٌ وانتخاب، وإنما أسميته اختصارًا تجوزًا.

والنسخة التي بين يدي منقولةٌ عن نسخة المؤلف، كتبها محمود بن محمد بن إبراهيم الحنبلي سنة ٨٧١.

---

(١) لم أجد له ترجمة. ومقدمته تدل على فضله واشتغاله، ومما وصلنا بخطه نسخة من كتاب «العاقبة» لعبد الحق الإشبيلي، في المكتبة الأزهرية، منسوخة سنة ٨١٥. وأخرى من «عجالة المحتاج» لابن الملقن، بالمكتبة المركزية (محمود الثاني) بنيقوسيا. وقصيدة في مدح ابن تيمية، بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى.

من محفوظات مكتبة برنستون برقم (٦٤٤).

وكتب في خاتمتها: «تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وهو كتابٌ نفيس لا يملّه الجليس (إلىٰ آخر النص المتقدم)، علىٰ يد كاتبه أضعف عباد الله وأحوجهم إلىٰ رحمة ربه العلي محمود بن محمد بن إبراهيم الحنبلي، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأه أو كتبه أو نظر فيه ودعا لهم بالرحمة والمغفرة ولجميع المسلمين، ووافق الفراغ من كتابته في سابع شهر ربيع الأول سنة إحدىٰ وسبعين وثمان مئة أحسن الله عاقبتها في خير، ونُسِخ من نسخةٍ بخطِّ مصنفه رحمه الله تعالىٰ مؤرخة في ثاني عشر من شهر رجب الفرد سنة ثمان عشرة وثمان مئة، وهو أحمد بن علوي بن حمزة الحنبلي، كذا وُجِد رحمه الله».

وفي طررها تعليقاتٌ قليلة لم أتبين صاحبها، فمن ذلك في (ق ٨٦/ب) عند كلام ابن القيم عن بطلان حديث «لو أحسن أحدكم الظن في حجر لنفعه»، كتب في الطرة: «مهمَّة. لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، كلام لا أصل له، مع أني سمعت ذلك من بعض شيوخنا، كالرملي عن الشيخ زكريا، وأنه كان يقول: الاعتقاد صبغة، والانتقاد حرمان. وظاهر كلام المصنف أن ذلك كلامٌ باطل. فتأمل».

وهي نسخةٌ جيدةٌ، قليلة التحريف، سوىٰ المواضع المشكلة في الرسم، كسائر الأصول الأخرىٰ.

وقد استعنتُ بها في النصف الثاني من الكتاب حيث انتهت النسختان (ح) و(ن).

* **أما الأصول التي لم أعتمد عليها، فهي**[1]:

١- **نسخة مكتبة أحمد الثالث**، ضمن متحف طوبقبو سراي، برقم (٥٤٤)، في ٢٠٠ ورقة، كتبت سنة ١٢١٠[2].

٢- **نسخة المكتبة المحمودية**، في مجلد واحد، بخط نسخي، في ٤٥٠ ورقة، بلا تاريخ نسخ، ومخرومة من آخرها، ومقاسها (٣١ × ٢٢)[3].

٣- **نسخة المكتبة القادرية بالموصل**، برقم (١٤٢٧/ ١)، وتقع في ١٨٧ ورقة، كتبت سنة ١٣٠٣، بخط محمد بن علي بن الملا الحنفي البغدادي.

وهي منقولةٌ عن نسخة مكتبة الأوقاف السابقة، وعليها خط محمود شكري الآلوسي (ت: ١٣٤٢)، وعنها طبع الكتاب طبعته الأولىٰ بمطبعة السعادة.

٤- **نسخة المكتبة الخالدية بالقدس**، برقم [٢٩ (١)].

٥- **نسخة مكتبة الرياض**، وهي الآن في مكتبة الملك فهد الوطنية، برقم (٤٠٧/ ٨٦)، في ٢٢٠ ورقة، كتبها الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، سنة ١٣١٠. وهي

---

(١) استفدت بيانات النسختين (٣، ٤) من الثبت الذي صنعه أخي الشيخ البحاثة محمد عزير شمس لمؤلفات ابن القيم، ولم يطبع بعد. وفي «خزانة التراث» الصادرة عن مركز الملك فيصل إشارةٌ إلى نسخة للكتاب في المكتبة الأزهرية برقم (٤٨٩)، وإنما هي مطبوعة السعادة، كما في فهرس المكتبة (٣/ ٧٤٣).

(٢) «معجم المخطوطات الموجودة في مكتبات استانبول وآناطولي» (١١٠٢).

(٣) «فهرس المحمودية» (٧٥).

تمثل نصف الكتاب، كالنسختين (ح) و(ن).

٦- **نسخة دارة الملك عبد العزيز**، بالرياض، برقم (المنيع/ ٢) في ١٣٦ ورقة، منسوخة سنة ١٣١١، بيد زيد بن عبد الله الناصر، الجزء الأول منه، ينتهي بقوله: «ولكن الله يطلع من شاء من خلقه على من شاء منه، فاعتصم بالله ثم بهذا الأصل»، كالنسخة السابقة.

٧- **نسخة دارة الملك عبد العزيز**، بالرياض، برقم (السلمان/ ١) في ١٧٧ ورقة، منسوخة سنة ١٣١٢، بيد عبد الله بن عبد الرحمن بن سلمان، الجزء الأول منه، ينتهي كنهاية النسخ السابقة.

*** أما ما نُسِب في بعض الفهارس ضِلَّة، فهو:**

١- **نسخة مكتبة الأوقاف العامة**، ببغداد، برقم (٧٠٥٤)، وأصلها من المكتبة النعمانية. وكتب الناسخ عنوانها هكذا: «كتاب سفر السعادة للإمام... العلامة ابن قيم الجوزية تغمده الله برحمته آمين».

وكتب أحدهم علىٰ غلافها الخارجي: «مفتاح دار السعادة للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ، وهو في بابه فريد».

وإنما هي نسخةٌ متأخرةٌ لكتاب «سفر السعادة» للفيروزابادي.

وكتب نعمان الآلوسي أسفل صفحة العنوان: «للفقير نعمان مفتي زاده الآلوسي البغدادي ٢٥ جمادىٰ سنة ١٢٩٩»، وفوقه بخطٍّ يشبه خطَّه: «الظاهر أنه لصاحب القاموس». وتحته ختم المكتبة النعمانية.

٢- **نسخة مكتبة أحمد الثالث**، ضمن متحف طوبقبو سراي بتركيا، برقم (٢/ ١٣٧٢. أ. ٥١٤١).

والموجود بهذا الرقم في المكتبة إنما هو كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاش كبري زاده، وقد تأكدنا من ذلك مرتين، مع أن المفهرس وصفها بأنها مكتوبة سنة ٧٧٥، وأنها تقع في ٢٧٥ ورقة، وتبدأ بقوله: «فصل: وفي هذه الآلات مآرب أخرىٰ...».

فيشبه أن تكون هذه القطعة أعطيت رقمًا جديدًا لم نهتد إليه.



طبعات الكتاب ومختصراته

* طبعات الكتاب:

طبع الكتاب أول مرة بمطبعة السعادة في القاهرة سنة ١٣٢٣، عن نسختين خطيتين: بعث بالأولىٰ من العراق الشيخ محمود شكري الآلوسي، وعليها علامة المقابلة بخطه، وهي نسخة المكتبة القادرية بالموصل المكتوبة سنة ١٣٠٣ المنقولة عن نسخة مكتبة الأوقاف، والثانية من دار السعادة العلية (إصطنبول) ولم يذكر تاريخ نسخها ومن أي مكتباتها.

وفي هذه الطبعة تحريفٌ كثير وسقطٌ في مواضع عديدة.

ثم توالت طبعات الكتاب معتمدة علىٰ تلك الطبعة وما نُشِر عنها بعجرها وبجرها، دون معارضته على أصوله الخطية العتيقة، ومقابلة نقوله على مصادرها، وتقويم ما تحرَّف من نصوصه، وخدمته على النهج العلمي في نشر النصوص.

ومن تلك الطبعات:

- طبعة مكتبة محمد علي صبيح.
- طبعة مكتبة الأزهر، تصحيح محمود ربيع.
- طبعة مكتبة الرياض الحديثة.
- طبعة دار الجيل، تحقيق عصام الحرستاني وحسان عبد المنان.
- طبعة المكتبة العصرية، تحقيق الداني بن منير آل زهوي.
- طبعة دار الحديث.

- طبعة دار الكتاب العربي، تحقيق محمد الإسكندراني.
- طبعة دار ابن حزم.
- طبعة دار الكتب العلمية.
- طبعة دار الفكر.

وكان من آخر طبعات الكتاب طبعتان:

الأولى: طبعة دار ابن عفان، بتحقيق علي حسن الحلبي، واعتمد على طبعة السعادة أو ما نُشِر عنها، فجاءت كهي في التحريف والسقط، وأضاف إليها تحريفات جديدة وأغلاطًا في الضبط وتعليقات ليست من العلم في شيء، ولا أثر في عمله لما زعم أنه رجع إليه من النسخ الخطية على تأخر زمانها.

والثانية : طبعة دار ابن خزيمة، بتحقيق عامر علي ياسين، واعتمد كذلك على المطبوعة، وقابل نصفها تقريبًا على قطعة خطية متأخرة من النسخ النجدية، واجتهد في التعليق على القضايا الطبية ونحوها بما استجد من علوم العصر، وحاول إصلاح ما استشكله من عبارات الكتاب، لكنه أسرف في التغيير والزيادة، وبقي السقط والتحريف على حاله في مواضع كثيرة.

ولم تعتن الطبعتان بتوثيق النقول ومقابلتها، وتخريج النصوص سوى الأحاديث المرفوعة.

وقد أفردتهما بكلمة ضربت فيها بعض المُثل لما أوجزت هنا (١).

---

(١) نشرت في «ملتقى أهل الحديث» و «الألوكة» على شبكة الانترنت.

*** مختصرات الكتاب و مختاراته :**

- غاية المرام والإفادة المختار من مفتاح دار السعادة ، اختاره أحمد بن علوي بن حمزة الحنبلي سنة ٨١٨ ، وسبق وصف نسخته الخطية.

- تنقيح الإفادة المنتقى من مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة لابن قيم الجوزية، بقلم سليم بن عيد الهلالي، مكتبة الصحابة، سنة ١٤١٤.

- تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم، لأنس عبدالحميد القوز ، دار الهدى للنشر والتوزيع، سنة ١٤١٣.

- مزيل الإلباس عن معاني حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تصنيف الناس من شروح ابن القيم، ضبط وتخريج وتعليق خالد أبو صالح، دار المعراج الدولية للنشر. سنة ١٤١٥.

- العلم فضله وشرفه من درر كلام ابن قيم الجوزية، نسقه وضبط نصه وعلق عليه علي بن حسن الحلبي الأثري. سنة ١٤١٦. وهو مأخوذ من نشرته للمفتاح بلا تغيير.



منهج التحقيق

قرأتُ النصَّ على مُكث، وعارضتُه بالأصول الخطية التي وصفت، وأثبتُّ ما اتفقت عليه، وانتخبتُ عند اختلافها ما ظننته الصواب منها، وأثبتُّ في الحاشية المحتمل من القراءات الأخرى.

أما أخطاء النساخ وأوهامهم وتحريفاتهم فاطَّرحتُها، حاشا ما رأيته قد أثبت منها في طبعات الكتاب السابقة، فأشرتُ إليه في الحاشية ونبهتُ على تحريفه، لئلَّا يغترَّ به أحد، فمن أحبَّ أن يقف على بعض تحريفات تلك الطبعات فليتتبع هذه المواضع.

وقد قدمتُ إليك وصف الأصول، واستغلاق بعض المواضع على النسَّاخ لسرعة خط المصنف وتعليقه وقلة احتفاله بالإعجام إذا أسرع في الكتابة(١)، فرسموا أكثرها رسمًا(٢)، واجتهد بعضهم فقرأ بعضها على غير الصواب؛ فما اجتمعت الأصول فيه على ما غلب على ظني أنه من خطأ

(١) انظر نموذجًا له فيما وصلنا من مسودته لكتاب «طريق الهجرتين» (ص: ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢ – مقدمة التحقيق).

(٢) وفي مثل هذا لا يسوغ أن أكتب بالحروف ما وقع في الأصل، فإن فعلتُ فقد أضللت القارئ، وأضعتُ مراد الناسخ؛ لأنه إنما قصد إلى رسم خط الأصل كما رآه لعجزه عن قراءته، ولو استطاع لكتبه بحروفٍ صحاح، فالرسم محتملٌ لأكثر من قراءة، ولا يغني في هذا إلا تصوير الكلمة ضوئيًّا، كما فعل عبد السلام هارون وغيره في بعض تحقيقاتهم، ولو كان الاعتماد على نسخةٍ واحدة لكان تجشُّم هذا متعيِّنًا، لكنها سبعٌ ثقال، فاكتفيتُ بوصف الكلمة في الحاشية بعدم التحرير.

النساخ تجاسرتُ فأصلحته في المتن وأشرتُ إلى ما في الأصول في الحاشية، وما احتمل من الصواب وجهًا وثمَّ ما هو أقومُ منه أبقيته في المتن على حاله وبينتُ في الحاشية ما أراه أدنىٰ إلى الصواب، فقد عرضتُ لك في الحالين ـ كما ترىٰ ـ ما وقع في الأصول الخطية، لتنظر لنفسك.

وانتفعتُ غاية الانتفاع بمقابلة النصوص التي نقلها المصنف على مصادرها، فكشفَت عن وجه الصواب في مواضع كثيرة، وخلَّصت النص من غوائل التحريف، وأثبتُّ المهم من قراءاتها عند الاختلاف، ورمزتُ لبعضها برموز إن طال النقل، كما فعلتُ بكتاب «الدلائل والاعتبار»، و«توحيد المفضل»، و«المقابسات»، وغيرها.

وعالجتُ قراءة كثيرٍ من مشكل التراكيب والألفاظ والمصطلحات وغيرها بالمعهود من كلام المصنف في كتبه، وبكشف المظانِّ وغيرها من كتب أهل العلم.

واستعنتُ بطبعة الكتاب الأولىٰ الصادرة عن مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٣، ورمزت لها بالحرف (ط)، إذ كانت معتمدةً علىٰ نسخة المكتبة القادرية (التي تقدم وصفها) ونسخةٍ تركية أخرىٰ لم يفصحوا عن مصدرها، وأحسب أن من قام على طبعها أعمل قلم التصحيح فيها.

وأشرتُ إشاراتٍ مختصرةً إلى ترجمة بعض الأعلام الذين قدَّرتُ أن في ترجمتهم إعانةً للقارئ على فهم النصِّ والإحاطة به، وهكذا صنعتُ في التعريف بالمواضع والبلدان.

وخرَّجتُ الأحاديث المرفوعة والآثار والأقوال والأشعار ما استطعتُ إلى ذلك سبيلًا، ولم أتكلف الحكم على أسانيد الأخبار غير المرفوعة إلا ما

كان فيه مصلحةٌ راجحة.

وشرحتُ مِنْ غريب الألفاظ والتراكيب والمصطلحات والأساليب ما رأيته مفتقرًا إلى بيان، وأرجو أن لا أكون أثقلتُ في ذلك وأمللت.

ووثقتُ النقول التي صرَّح المصنف بنقلها، واجتهدتُ في الوقوف على ما لم يصرح به، وقابلتُ جميع أولئك بأصوله، كما سلف.

ووصلتُ مسائل الكتاب وبحوثه بكتب المصنف وشيخ الإسلام ابن تيمية، وعزوتُ جملةً كثيرةً منها إلىٰ مواضعها في مصنفات أهل العلم وتواليفهم، وبعضها عزيز المنال.

وصنعتُ للكتاب فهارس كاشفة تيسر الانتفاع به وتجمع نثار فوائده، وقد أعانني بصنع بعض الفهارس اللفظية الأخوان الفاضلان: نبيل بن نصار السندي وخالد بن محمد جاب الله.

وقد بذلتُ الوسع، وتحريتُ الصواب، واجتهدتُ ولم آلُ، إلا أن ابن آدم إلى الضعف ما هو، وأنا طامعٌ في رحمة الله وجميل عفوه، هو أهل التقوىٰ وأهل المغفرة.

وكتب

عبد الرحمن بن حسن بن قائد